

سلسلة الفوائد العديدة من أقوال ابن قيم الجوزية (رحمته)

الفوائد الرباعية

من

أقوال ابن قيم الجوزية رحمه الله

جمع وإعداد / أبي بشار

بشير بن حسن بن قاي الأيوبي

غفر الله له وعفا عنه

وَعَلَّمَكَ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَكَانَ أَنْ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ عَظِيمًا

حقوق الطبع لكل مسلم، بشرط عدم التغيير في الكتاب

الطبعة الثانية

١٦ / ربيع أول / ١٤٤٥ هـ

الفوائد الرباعية
من
أقول ابن قيم الجوزية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ الفاضل

أبي عبد الله فيصل الحاشدي

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

فقد وقفتُ على ما اختاره أخونا الشيخ / أبو بشار بشير الأيوبي، من كلام ابن قيم الجوزية رحمه الله؛ فوجدته اختار جواهر كلامه ونوادر حكمه، فأحسن الاختيار، وحسن الاختيار ليس بالشيء السهل بل إنه طلبه تتعرثر بين يديها الآمال، وتقطع دونها أعناق الرجال، وقد قالوا: « اختيار الكلام أصعب من تأليفه »، ولعمري لقد دلنا اختياره على حسن ذوقه، ونفاذ بصيرته، فلا جرم فقد قيل: « اختيار المرء قطعة من عقله، تدل على تخلقه وفضله »، وقيل: « ظاهر عقول الرجال في اختيارها »، وقيل: « لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار ».

فدونك جواهر من غائص ماهر، فما كل من غاص في بحر هذا الإمام جاء بمثله، ولا كل ما يلمع ذهب.

فَاسْمَعْ، فَمَا كُُلُّ الْكَلَامِ بِطَيِّبٍ * * وَلَكُلِّ قَوْلٍ فِي السَّمَاعِ مَذَاقٌ
جرى القلم بما تقدم.

وكتبه/ فيصل الحاشدي

اليمن - إب - مدينة القاعدة

١٤٤٥/٢/٢٥ هـ

مقدمة شيخنا الفاضل

أبي عاصم عبد الله بن محمد الدُّبَعي

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين.

أما بعد:

فقد قرأت رسالة أخينا الشيخ / بشير بن حسن الأيوبي حفظه الله « **الفوائد الرباعية من أقوال ابن قيم الجوزية** »، فجزاه الله خيرًا على جمعه الطيب، لمثل هذه التقسيمات، من كلام ابن قيم الجوزية، العَلَم المشهور رحمه الله.

وهذا الجمع من باب تقريب العلوم، إذ نحن في أزمان ضعفت فيه الهمم؛ عن تحصيل العلم الشرعي عند أهله، وتبلدت الأفهام عن فهم ومعرفة أمور الإسلام، بل وابتعدت عن كتب الأئمة الأعلام؛ بملهيات مدسوسة، ككتب المدارس، والجامعات وغيرها، فإنها ما زادت دارسها إلا بعدًا عن معرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ربه. فشكر الله لأبي بشار جهوده، وبارك فيها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.

كتبه/

أبو عاصم عبد الله بن محمد الدُّبَعي

الأربعاء/ ٥/ ربيع أول/ ١٤٤٥هـ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن من علماء السلف المتقدمين الذين لهم باع في التصنيف في مختلف الفنون: الإمام العلامة أبا عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية رحمته الله، والذي امتازت كتبه ومصنفاته بحلاوة الأسلوب، وجمال العبارة، وعذوبة المنطق، وحسن البيان، وكثرة استشهاده بالأمثلة والأشعار والبلاغات ونحو ذلك، مما يجعل لكلامه قبولاً في النفوس، ووقعاً في القلوب، وهذا قول واقعي يعرفه كل من قرأ في كتبه رحمة الله عليه.

يقول الإمام الشوكاني رحمته الله: وله من حسن التصرف، مع العذوبة الزائدة، وحسن السياق، ما لا يقدر عليه غالب المصنِّفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٤٤).

(١) تنبيه: في ضبط اسم الشهرة لابن القيم، إذا اقتصرنا على ابن القيم، حليناه بالألف واللام، وإذا أضفنا إليه الجوزية، لم نحلها بهما فنقول، ابن قيم الجوزية فقط؛ لأنه يكتسب التعريف من الإضافة، والجوزية: اسم للمدرسة التي كان يديرها أبوه ويشرف عليها. والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَكَانَ جَرِيءَ الْجَنَانِ، وَاسِعَ الْعِلْمِ، عَارِفًا بِالْخِلَافِ،

ومذاهب السلف. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٨ / ٥).

ومع هذا فقد كان رحمته الله: مُلَازِمًا لِلِاسْتِغَالِ لَيْلًا وَنَهَارًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ وَلَا يَحْقِدُ، وَلَا يُعْرِفُ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، كَمَا قَالَ ذَلِكَ عَنْهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِهِ، وَأَصْحَبَهُمْ لَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله. انظر: البداية والنهاية (٢٧٠ / ١٤).

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: كَانَ ذَا عِبَادَةٍ وَتَهَجُّدٍ وَطُولِ صَلَاةٍ إِلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى، وَتَأَلَّهُ، وَلَهَجَ بِالذِّكْرِ، وَشَغَفَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْكَسَارِ لَهُ، وَالْإِطْرَاحَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى عَتَبَةِ عِبُودِيَّتِهِ. لَمْ أَشَاهِدْ مِثْلَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا رَأَيْتُ أَوْسَعَ مِنْهُ عِلْمًا، وَلَا أَعْرَفَ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ مِنْهُ، وَلَيْسَ هُوَ بِالْمَعْصُومِ، وَلَكِنْ لَمْ أَرِ فِي مَعْنَاهُ مِثْلَهُ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٨٨ / ٨).

ومما تتميز به مصنفاته رحمته الله أيضًا: حصره لأسباب الشيء في أعداد معينة، وجعله في أقسام، أو فوائد، أو مراتب، أو أنواع، ونحو ذلك، مما يجعله يرسخ في الذهن، ويسهل تذكره واسترجاعه.

هذا وقد يسر الله لي بمنه وكرمه، أن قمت بقراءة ووجد كثير من كتب هذا الإمام رحمته الله، في عدة سنين مع مجموعة من الإخوة الأفاضل، ومن تيسيره لي سبحانه وتعالى في خلال تلك القراءة، أن كنت ألخص من كل كتاب ما يمر بي مما يُستطاب من تلك الفوائد والدرر؛ حتى اجتمع لي خير كثير وفوائد جمّة، في أبواب متفرقة، ولا سيما في باب الفوائد العددية، فقد

تيسر لي منها عدد كبير، فقممت بترتيبها وتبويبها، وجعلت كل قسم منها على حده، الثنائي مع الثنائي، والثلاثي مع الثلاثي... إلخ، ثم جعلتها في رسائل مستقلة، فخلّص لي من ذلك عدة رسائل، منها هذه الرسالة: «**الفوائد الرباعية من أقوال ابن قيم الجوزية**»^(١) رحمة الله عليه.

وبالجملة: فهذا هو جهد المُقِلّ أضعه بين يدي إخواني علّ الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياهم بذلك كما نفع بأصلها، وأختم بما ذكره هذا الإمام **رَحِمَهُ اللهُ** في عدة من كتبه بقوله: فيا أيها القاريء له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه. ولك ثمرته، وعليه عائدته. فإن عدم منك حمداً وشكراً، فلا يعدم منك مغفرة وعذراً، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد:

استأثر الله بالثناء وبالحمد * * * وولّى الملامة الرّجلاً

والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصاً، وينفع به مؤلفه وقارئه وكتابه في الدنيا والآخرة،

إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. انظر: طريق الهجرتين (ص: ٧). مدارج السالكين (٣/ ٤٨٢) حادي الأرواح (ص: ٨) شفاء العليل (ص: ٦).

أبو بشار

بشير بن حسن بن قائد الأيوبي

٢١/ صفر/ ١٤٤٥هـ

(١) وبقيّة أقسام الرسائل، سيتم بإذن الله سبحانه وتعالى نشرها قريباً، وذلك بعد الإنتهاء من مراجعتها.

محاسبة النفس قبل الفعل على أربعة مقامات

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح هذا بعضهم فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد، وقف **أولا** ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه، وإن كان مقدورا وقف **وقفة أخرى** ونظر: هل فعله خير له من تركه، أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف **وقفة ثالثة** ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم، وإن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك. ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف **وقفة أخرى** ونظر هل هو معان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار، وإن وجده معانا عليه فليقدم عليه فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.

فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل، فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له، ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا له من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعل الله، ولا كل ما يفعله الله يكون معانا عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه، وما يحجم عنه. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١ / ٨١).



الفروسية أربعة أنواع

قال رحمه الله: الفروسية أربعة أنواع:

أحدها: ركوب الخيل والكر والفر بها.

الثاني: الرمي بالقوس.

الثالث: المطاعنة بالرماح.

الرابع: المداورة بالسيف.

فمن استكملها استكمل الفروسية ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة رضي الله عنهم وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس في الشهادة وبذل نفوسهم في محبة الله ومرضاته فلم يقم لهم أمة من الأمم ألبته ولا حاربوا أمة قط إلا وقهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها فلما ضعفت هذه الأسباب فيمن بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها دخل عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدموه من هذه الأسباب والله المستعان. الفروسية (ص: ٤٤٠).



أركان الرمي أربعة

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : أَرْكَانُ الرَّمْيِ أَرْبَعَةٌ :

السرعة .

وَشِدَّةُ الرَّمْيِ .

وَالْإِصَابَةُ .

وَالاحْتِرَازُ .

فالرامي على الْحَقِيقَةِ من كملت فِيهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ ، وكل وَاحِدَةٌ مِنْهَا محتاجةٌ إِلَى أخواتها ، كَمَا يَحْتَاجُ الرَّمْيُ إِلَى أَرْبَعَةٍ :

القوس ، وَالوتر ، والسهم ، والرامي ، فَلَوْ كَانَ سهم الرجل مصيبا وَلَمْ يكن منكيا لم يُؤْثِرْ ، وَلَوْ كَانَ سَهْمُهُ منكيا وَلَمْ يكن مصيبا لم يَنْفَعْ ، وَلَوْ كَانَ مصيبا منكيا لم يَحْسُنَ التَّحَرُّزُ من عدوه فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْتُلَهُ عدوه قبل رميه إِيَّاهُ لعدم مَعْرِفَتِهِ بالتحرز مِنْهُ ، وَلَوْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الثَّلَاثَةُ الْإِصَابَةُ وَالنَّكَايَةُ وَالتَّحَرُّزُ وَلَمْ يكن سريع الرَّمْيِ نقص ذَلِكَ من بسالته وشجاعته وَقِلَّ انتفاعه برميهِ ، وَرُبَّمَا فَاتَهُ مُطْلَبُهُ وَهَرَبَ خَصْمُهُ مِنْهُ ؛ لبطء رميه لَهُ ، فَمَنْ لم يستكمل هَذِهِ الْخِصَالَ ؛ فَلَيْسَ بِرَامٍ عِنْدَهُمْ . **الفروسية (ص: ٤٤٣)** .



للمشجاعة أربع علامات

قال رحمه الله: وَلَمَّا كَانَتْ الشَّجَاعَةُ خَلْقًا كَرِيمًا مِنْ أَخْلَاقِ النَّفْسِ تَرْتَّبَ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ أُمُورٌ، وَهِيَ مَظْهَرُهَا وَثَمَرَتُهَا:

الإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الإِقْدَامِ.

وَالِإِحْجَامُ فِي مَوْضِعِ الإِحْجَامِ.

وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الثَّبَاتِ.

وَالزَّوَالُ فِي مَوْضِعِ الزَّوَالِ.

وَضَدَ ذَلِكَ مَخْلٌ بِالشَّجَاعَةِ وَهُوَ إِمَّا جَبْنٌ وَإِمَّا تَهَوُّرٌ وَإِمَّا خَفَّةٌ وَطِيشٌ. **الفروسية (ص: ٥٠٤).**



مراتب الجهاد أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

جِهَادُ النَّفْسِ.

وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ.

وَجِهَادُ الْكُفَّارِ.

وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ

يَأْمُرُنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخْصُ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخْصُ بِاللِّسَانِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٩)



أركان الكفر أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةٌ:

الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة، فالكبر يمنع الانقياد، والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنع العدل، والشهوة تمنع التفرغ للعبادة.

فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصيح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة.

وَزَوَالُ الْجِبَالِ عَنْ أَمَاكِنِهَا أَيْسَرُ مِنْ زَوَالِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَمَّنْ بَلِيَّ بِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَارَتْ هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً وَمُلْكَاتٍ وَصِفَاتٍ ثَابِتَةً، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعَهَا عَمَلُ الْبَتَّةِ وَلَا تَزْكُو نَفْسُهُ مَعَ قِيَامِهَا بِهَا، وَكَلِمَا اجْتَهَدَ فِي الْعَمَلِ أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ، وَكُلُّ الْآفَاتِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ أُرْتِى الْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَالْمَعْرُوفُ فِي صُورَةِ الْمُنْكَرِ وَالْمُنْكَرُ فِي صُورَةِ الْمَعْرُوفِ، وَقَرُبَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا وَبَعُدَتْ مِنْهُ الْآخِرَةُ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الْأُمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئًا مِنْهَا وَعَلَيْهَا يَقَعُ الْعَذَابُ وَتَكُونُ خَفَتُهُ وَشِدَّتُهُ بِحَسَبِ خَفَتِهَا وَشِدَّتِهَا، فَمَنْ فَتَحَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الشَّرِّ كُلِّهَا عَاجِلًا

وَأَجَلًا وَمَنْ أَغْلَقَهَا عَلَى نَفْسِهِ أَغْلَقَ عَنْهُ أَبْوَابَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا تَمْنَعُ الْإِنْقِيَادَ وَالْإِخْلَاصَ
وَالْتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ وَقَبُولَ الْحَقِّ وَنَصِيحَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّوَاضُّعَ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ.

وَمِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مَنْ جَهِلَهُ رَبُّهُ وَجَهِلَهُ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ
وَنَعَوْتَ الْجَلَالِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ بِالنَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ لَمْ يَتَكَبَّرْ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهَا وَلَمْ يَحْسُدْ

أَحَدًا عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ. (الفوائد (ص: ١٥٧).



الدراهم أربعة أنواع

قال **رحمته الله**: الدَّرَاهِمُ أَرْبَعَةٌ:

دَرَاهِمٌ اكْتَسَبَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ فِي حَقِّ اللَّهِ فَذَاكَ خَيْرُ الدَّرَاهِمِ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَذَاكَ شَرُّ الدَّرَاهِمِ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِأَذَى مُسْلِمٍ وَأَخْرَجَ فِي أَذَى مُسْلِمٍ فَهُوَ كَذَلِكَ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِمُبَاحٍ وَأَنْفَقَ فِي شَهْوَةٍ مُبَاحَةٍ فَذَاكَ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ.

هَذِهِ أَصُولُ الدَّرَاهِمِ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا دَرَاهِمٌ أُخْرَى مِنْهَا: دِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِحَقٍّ وَأَنْفَقَ فِي بَاطِلٍ، وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِبَاطِلٍ وَأَنْفَقَ فِي حَقٍّ فَإِنْفَاقُهُ كَفَّارَتُهُ، وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ مِنْ شُبْهَةٍ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَنْفَقَ فِي طَاعَةٍ.

وَكَمَا يَتَعَلَّقُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالْمَدْحُ وَالذَّمُّ بِإِخْرَاجِ الدَّرَاهِمِ، فَكَذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِاِكْتِسَابِهِ وَكَذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْهُ مُسْتَخْرِجُهُ وَمَصْرُوفُهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ. (الفوائد (ص: ١٧٠).



أجل الأفكار أربعة

قال رحمه الله: قَاعِدَة جَلِيلَة أَصْلُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ قَبْلِ التَّفَكُّرِ فَإِنَّ الْفِكْرَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ وَالطَّلَبِ فِي الزَّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْحُبِّ وَالْبَغْضِ، وَأَنْفَعُ الْفِكْرِ:

الفكر في مصالح المعاد.

وفي طرق اجتلابها.

وفي دفع مفسد المعاد.

وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار، هي أجل الأفكار.

وَيَلِيهَا أَرْبَعَةٌ: فَكَّرْ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَطَرِّقْ تَحْصِيلَهَا، وَفَكَّرْ فِي مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَطَرِّقِ الْإِحْتِرَازَ مِنْهَا، فَعَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّمَانِيَةِ دَارَتْ أَفْكَارُ الْعُقَلَاءِ.

وَرَأْسُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْفِكْرُ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَطَرِّقِ الْعِلْمَ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمَا وَلاَهُمَا، وَهَذَا الْفِكْرُ يُثْمِرُ لِمُصَاحِبِهِ الْمَحَبَّةَ وَالْمَعْرِفَةَ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي الْآخِرَةِ وَشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا، وَفِي الدُّنْيَا وَخُسْفَانِهَا؛ أَثْمَرَ لَهُ ذَلِكَ الرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَالزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَكَلِمَا فَكَّرَ فِي قَصْرِ الْأَمَلِ وَضَيْقِ الْوَقْتِ؛ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْجَدَّ وَالْإِجْتِهَادَ وَبَذَلَ الْوَسْعَ فِي اخْتِنَامِ الْوَقْتِ، وَهَذِهِ الْأَفْكَارُ تَعْلِي هِمَّتَهُ وَتَحْيِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَتُسَوِّغُهَا؛ وَتَجْعَلُهُ فِي وَادٍ وَالنَّاسَ فِي وَادٍ.

وبإزاء هذه الأفكار الأفكار الرديئة؛ التي تجول في قلوب أكثر هذا الخلق.

كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطى الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع،
 كالفكر في كَيْفِيَّة ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه.

ومنها الفكر في الصناعات الدقيقة التي لا تنفع بل تضر كالفكر في الشطرنج
 والموسيقى وأنواع الأشكال والتصاوير.

ومنها الفكر في العلوم التي لو كانت صحيحة لم يعط الفكر فيها النفس كمالا ولا
 شرفا، كالفكر في دقائق المنطق والعلم الرياضي والطبيعي وأكثر علوم الفلاسفة التي لو
 بلغ الإنسان غايتها لم يكمل بذلك ولم يذك نفسه.

ومنها الفكر في الشهوات واللذات وطرق تحصيلها وهذا وإن كان لنفس فيه لذة لكن
 لا عاقبة له ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف مسرته.

ومنها الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان يكون كالفكر فيما إذا صار ملكا أو وجد
 كنزا أو ملك ضيعة ماذا يصنع وكيف يتصرف ويأخذ ويعطي وينتقم ونحو ذلك من
 أفكار السفل.

ومنها الفكر في جزئيات أحوال الناس وما جراياتهم ومدخلهم ومخارجهم وتوابع
 ذلك من فكر النفوس المبطللة الفارغة من الله ورؤوله والدار الآخرة.

ومنها الفكر في دقائق الحيل والمكر التي يتوصل بها إلى أغراضه وهواه مباهة كانت
 أو محرمة.

وَمِنْهَا الْفِكْرُ فِي أَنْوَاعِ الشَّعْرِ وَصُرُوفِهِ وَأَفَانِينِهِ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ وَالْغَزْلِ وَالْمِرَاثِي
وَنَحْوِهَا، فَإِنَّهُ يَشْغُلُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا فِيهِ سَعَادَتُهُ وَحَيَاتُهُ الدَّائِمَةُ.

وَمِنْهَا الْفِكْرُ فِي الْمَقْدَرَاتِ الذَّهْنِيَةِ الَّتِي لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ وَلَا بِالنَّاسِ حَاجَةٌ
إِلَيْهَا الْبَتَّةَ وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ حَتَّى فِي عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالطَّبِّ.

فَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ مُضَرَّتُهَا أَرْجَحُ مِنْ مَنَفْعَتِهَا وَيَكْتَفِي فِي مُضَرَّتِهَا شُغْلُهَا عَنِ الْفِكْرِ
فِيمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَعُوذُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ عَاجِلًا وَآجِلًا. (الفوائد (ص: ١٩٨).



للهداية أربع مراتب

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْهَدَايَةُ لَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ:

المرتبة الاولى: الْهَدَايَةُ الْعَامَّةُ وَهِيَ هِدَايَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ لِمَصَالِحِهِ

الَّتِي بَهَا قَامَ أَمْرُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى

(٣)﴾ [الأعلى: ١-٣]، وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ عَدُوِّهِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِمُوسَى: ﴿فَمَنْ

رَبُّكُمَا يَمُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾ [طه: ٤٩ - ٥٠]،

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ أَسْبَقُ مَرَاتِبِ الْهَدَايَةِ وَأَعْمَاهَا.

المرتبة الثانية: هِدَايَةُ الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةِ الَّتِي أَقَامَ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذِهِ لَا تَسْتَلْزِمُ

الِاهْتِدَاءَ التَّامَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:

١٧]، يَعْنِي بَيْنَا لَهُمْ وَدَلَّلْنَاهُمْ وَعَرَفْنَاهُمْ فَأَثَرُوا الضَّلَالَةَ وَالْعَمَى.

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ أَحْصَى مِنَ الْأُولَى وَأَعَمُّ مِنَ الثَّانِيَةِ وَهِيَ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ قَالَ اللهُ

تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)﴾ [يونس: ٢٥]

فَعَمَّ بِالِدَّعْوَةِ خَلْقَهُ وَخَصَّ بِالْهَدَايَةِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

٥٦﴾ [القصص: ٥٦]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ [الشورى:

٥٢] فَابْتُثْ هِدَايَةَ الدَّعْوَةِ وَالْبَيَانَ وَنَفِي هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ.

وَهَذِهِ **الْهِدَايَةُ الثَّالِثَةُ** هِيَ الْهِدَايَةُ الْمُوجِبَةُ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِلْإِهْتِدَاءِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَشَرْطُ لَا مُوجِبَ فَلَا يَسْتَحِيلُ تَخَلُّفُ الْهَدْيِ عَنْهَا بِخِلَافِ الثَّالِثَةِ، فَإِنْ تَخَلَّفَ الْهَدْيُ عَنْهَا مُسْتَحِيلٌ.

المرتبة الرابعة: الْهِدَايَةُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَخْشَرُوا

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣﴾

[الصافات: ٢٢ - ٢٣]، وَأَمَّا قَوْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا الْهِدَايَةَ إِلَى طَرِيقِ

الْجَنَّةِ وَأَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا الْهِدَايَةَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى دَارِ النِّعَمِ.

وَلَوْ قِيلَ إِنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادٌ لَهُمْ وَأَنْهُمْ حَمَدُوا اللَّهَ عَلَى هِدَايَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَهِدَايَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ كَانَ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ. مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورُ وَلَايَةِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ (١/ ٨٤) وَانْظُرْ:

بِدَائِعِ الْفَوَائِدِ (٢/ ٣٥) شِفَاءُ الْعَلِيلِ فِي مَسَائِلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ (ص: ٦٥).



أربع من علامات المؤمنين

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَاِِمْ﴾ [المائدة: ٥٤] فَقَدْ ذَكَرَ لَهُمْ أَرْبَعَ عَلَامَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَرْقَاءُ، رُحَمَاءُ مُشْفِقُونَ عَلَيْهِمْ. عَاطِفُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا ضَمَّنَ أَذِلَّةً هَذَا الْمَعْنَى عَدَّاهُ بِأَدَاةٍ « عَلَى ». قَالَ عَطَاءٌ: لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْوَلَدِ لَوَالِدِهِ، وَالْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ.

وَعَلَى الْكَافِرِينَ كَالْأَسَدِ عَلَى فَرَسَيْتِهِ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّفْسِ وَالْيَدِ، وَاللِّسَانِ وَالْمَالِ، وَذَلِكَ تَحْقِيقُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ.

الْعَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُمْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. وَهَذَا عَلَامَةُ صِحَّةِ الْمَحَبَّةِ فَكُلُّ مُحِبٍّ يَأْخُذُهُ اللَّوْمُ عَنْ مَحْبُوبِهِ فَلَيْسَ بِمُحِبٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ. كَمَا قِيلَ:

لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ * يَحِدُ السَّبِيلَ بِهَا إِلَيْهِ اللَّوْمُ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ / ٢٢).



أمهات مطالب السائلين أربعة

قال رحمه الله: والشر المستعاذ منه نوعان: أحدهما **موجود يطلب رفعه**، والثاني: **معدوم يطلب بقاءه** على العدم وأن لا يوجد.

كما أن الخير المطلق نوعان أحدهما: **موجود فيطلب دوامه** وثباته وأن لا يسلبه، والثاني: **معدوم فيطلب وجوده** وحصوله.

مطالب العباد أربعة: فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين، وعليها مدار طلباتهم، وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فهذا الطلب لدفع الشر الموجود، فإن الذنوب والسيئات شر كما تقدم بيانه، ثم قال: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣)

﴿فهذا طلب لدوام الخير الموجود، وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه، فهذان قسمان. ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة.

فانتظمت الآيتان للمطالب الأربعة أحسن انتظام، مرتبة أحسن ترتيب، قدم فيها النوعان اللذان في الدنيا وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت، ثم اتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة، وهما أن يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله، وأن لا يخزيهم يوم

القيامة. بدائع الفوائد (٢ / ٢٠٧).



الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام

قال رحمه الله: قال ابن عقيل: الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام: **رشوة، وهدية، وأجرة، ورزق.**

فالرشوة حرام وهي ضربان: رشوة ليميل إلى أحدهما بغير حق فهذه حرام عن فعل حرام على الآخذ والمعطي وهما آثمان.

ورشوة يعطاها ليحكم بالحق واستيفاء حق المعطي من دين ونحوه فهي حرام على الحاكم دون المعطي؛ لأنها للاستنقاذ، فهي كجعل الأبق وأجرة الوكلاء في الخصومة. وأما الهدية فضربان: هدية كانت قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وهدية لم تكن إلا بعد الولاية وهي ضربان: مكروهة وهي الهدية إليه ممن لا حكومة له، وهدية ممن قد اتجهت له حكومة فهي حرام على الحاكم والمهدي.

وأما الأجرة إن كان للحاكم رزق من الإمام من بين المال حرم عليه أخذ الأجرة قولاً واحداً لأنه إنما أجرى له الرزق لأجل الاشتغال بالحكم فلا وجه لأخذ الأجرة من جهة الخصوم، وإن كان الحاكم لا رزق له فعلى وجهين: أحدهما الإباحة؛ لأنه عمل مباح فهو كما لو حكماء؛ ولأنه مع عدم الرزق لا يتعين عليه الحكم فلا يمنع من أخذ الأجرة كالوصي وأمين الحاكم يأكلان من مال اليتيم بقدر الحاجة، وأما الرزق من بيت المال

فإن كان غنيا لا حاجة له إليه احتمل أن يكره لئلا يضيق على أهل المصالح ويحتمل أن يباح لأنه بذل نفسه لذلك فصار كالعامل في الزكاة والخراج. بدائع الفوائد (٣/ ١٤٦).



الناس في بذل الأسباب على أربعة أقسام

قال رحمه الله: سمع بعض أهل العلم رجلا يدعوا بالعافية فقال له: يا هذا استعمل الأدوية وادع بالعافية فإن الله تعالى إذا كان قد جعل إلى العافية طريقا وهو التداوي ودعوته بالعافية ربما كان جوابه قد عافيتك بما جعلته ووضعته سببا للعافية.

وما هذا إلا بمثابة من بين زرعه وبين الماء ثلثة يدخل منها الماء يسقي زرعه فجعل يصلي ويستسقي لزرعه ويطلب المطر مع قدرته على فتح تلك الثلثة لسقي زرعه؛ فإن ذلك لا يحسن منه شرعا ولا عقلا.

ولم يكن ذلك إلا لأنه سبق بإعطاء الأسباب فهو إعطاء بأحد الطريقين وله أن يعطي بسبب وبغير سبب وبالسبب ليتبين به ما أفاض من صنعه وما أودع في مخلوقاته من القوى والطبائع والمنافع وإعطاؤه لغير سبب ليتبين للعباد أن القدرة غير مفتقرة إلى واسطة في فعله فإذا دعوته بالعافية فاستنقذ ما أعطاك من العتائد والأرزاق فإن وصلت بها وإلا فاطلب طلب من أفلس من مطلوبه فرغب إلى المعدن كما قال سيد الخلائق: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(١).

قلت: هذا كلام حسن وأكمل منه أن يبذل الأسباب ويسأل سؤال من لم يدل بشيء البتة والناس في هذا المقام أربعة أقسام:

«١» انظر: ضعيف أبي داود (٢/ ٢٢٢) والإرواء (٢٠١٨)، للإمام الألباني رحمه الله.

فأعجزهم من لم يبدل السبب ولم يكثّر الطلب فذاك أمهّن الخلق.

والثاني: مقابلة، وهو أحزم الناس من أدلى بالأسباب التي نصبها الله تعالى مفضية إلى المطلوب، وسأل سؤال من لم يدل بسبب أصلاً، بل سؤال مفلس بائس ليس له حيلة ولا وسيلة.

والثالث: من استعمل الأسباب وصرف همته إليها وقصر نظره عليها، فهذا وإن كان له حظ مما رتبّه الله تعالى عليها، لكنه منقوص منقطع نصب الآفات والمعارضات لا يحصل له إلا بعد جهد، فإذا حصل فهو وشيك الزوال سريع الانتقال غير معقب له توحيداً ولا معرفة ولا كان سبباً لفتح الباب بينه وبين معبوده.

الرابع: مقابلة، وهو رجل نبذ الأسباب وراء ظهره، وأقبل على الطلب والدعاء والابتهاال، فهذا يحمّد في موضع ويذم في موضع ويشينه الأمر في موضع.

فيحمّد عند كون تلك الأسباب غير مأمور بها إذ فيها مضرة عليه في دينه، فإذا تركها وأقبل على السؤال والابتهاال والتضرع لله كان محموداً، ويذم حيث كانت الأسباب مأموراً بها فتركها وأقبل على الدعاء، كمن حصّره العدو وأمر بجهاده فترك جهاده وأقبل على الدعاء والتضرع أن يصرفه الله عنه، وكمن جهده العطش وهو قادر على تناول الماء فتركه وأقبل يسأل الله تعالى أن يرويه، وكمن أمكنه التداوي الشرعي فتركه وأقبل يسأل

العافية ونظائر هذا. بدائع الفوائد (٣/ ١٧٨ - ١٨٠).



أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد

قال رَحِمَهُ اللهُ: أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد:

أنس بن مالك.

وعبد الله بن عمر الليثي.

وخليفة السعدي.

وجعفر بن سليمان الهاشمي. بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٣).



الآلات المأمور بمباشرتها من البدن لها أربعة أحوال

قال رحمه الله: المُكَلَّفُ بالنَّسْبَةِ إلى القُدْرَةِ في الشَّيْءِ المَأْمُورُ بِهِ، والآلات المَأْمُورُ بمباشرتها من البَدَنِ؛ له أربعة أحوال:

أحدها: قدرته بهما، فحكمه ظاهرٌ، كالصحيح القادر على الماء، والحرُّ القادر على الرَّقَبَةِ الكاملة.

الثانية: عجزه عنهما، كالمريض العادم للماء، والرقيق العادم للرَّقَبَةِ، فحكمه أيضًا ظاهرٌ.

الثالثة: قدرته ببدنه وعجزه عن المأمور به، كالصحيح العادم للماء، والحرُّ العاجز عن الرَّقَبَةِ في الكَفَّارَةِ، فحكمه الانتقالُ إلى بدله إن كان له بدلٌ يقدر عليه، كالتَّيَّمُّمِ أو الصَّيَّامِ في الكَفَّارَةِ، ونحو ذلك، فإن لم يكن له بدلٌ سقط عنه وجوبه، كالعُرْيَانِ العاجز عن سِتْرِ عَوْرَتِهِ في الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي ولا يُعِيدُ.

الرابعة: عجزه ببدنه وقدرته على المأمور به أو بدله.

فهو موردُ الإشكال في هذه الأقسام وله صُور:

أحدها: المَعْضُوبُ الذي لا يَسْتَمْسِكُ على الرَّاحِلَةِ وله مالٌ يَقْدُرُ أَنْ يُحَجَّ بِهِ عَنْهُ، فالصحيح وجوب الحجِّ عليه بماله لقدرته على المأمور به، كان عَجَزَ عن مباشرته هو بنفسه، وهذا قول الأكثرين.

ونظيره: القادرُ على الجهاد مسألة العاجزُ ببدنه، يجبُ عليه الجهادُ بماله في أصحِّ قوله العلماء، وهما روايتان منصوستان عن أحمد.

الصورة الثالثة: الشيخُ الكبيرُ العاجزُ عن الصَّوم القادرُ على الإطعام، فهذا يجبُ عليه الإطعام عن كل يومٍ مسكيناً في أصحِّ أقوال العلماء.

الرابعة: المريضُ العاجزُ عن استعمال الماء، فهذا حكمُه حكمُ العادم، ويتنقلُ إلى بدله، كالشيخ العاجزُ عن الصيام ينتقلُ إلى الإطعام.

وضابط هذا: أن المعجوزَ عنه في ذلك كله إن كان له بدلٌ انتقل إلى بدله، وإن لم يكن له بدلٌ سقط عنه وجوبُهُ.

فإذا تمهَّدت هذه القاعدة ففرقُ بين العَجَزِ ببعض البدن والعجز عن بعض الواجب، فليساً سواءً، بل متى عَجَزَ ببعض البدن لم يسقط عنه حكم البعض الآخر، وعلى هذا إذا كان بعض بدنه جريحاً وبعضُهُ صحيحاً، غسل الصحيح وتيمَّم للجريح على المذهب الصحيح،

كما دلَّ عليه حديث الجريح. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٣٤٢).



الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام

قال رحمه الله: الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام:

أحدها: حقوق المال كالزكاة، فهذا يثبت في الذمة بعد التمكن من أدائه، فلو عَجَزَ عنه بعد ذلك لم يسقط، ولا يثبت في الذمة إذا عَجَزَ عنه وقت الوجوب، وألحق بهذا زكاة الفطر.

القسم الثاني: ما يجب بسبب الكفارة، ككفارة الأيمان والظهار والوطء في رمضان وكفارة القتل، فإذا عَجَزَ عنها وقت انعقاد أسبابها، ففي ثبوتها في ذمته إلى الميسرة أو سقوطها قولان مشهوران في مذهب الشافعي وأحمد.^(١)

القسم الثالث: ما فيه معنى ضمان المتلف، كجزاء الصيد، وألحق به فدية الحلق والطيب واللباس في الإحرام، فإذا عَجَزَ عنه وقت وجوبه ثبت في ذمته تغليبا لمعنى الغرامة وجزاء المتلف، وهذا في الصيد ظاهر، وأما في الطيب وبابه فليس كذلك؛ لأنه تَرْفُهُ لا إِتْلَافٌ، إذ الشَّعْرُ وَالظُّفْرُ ليسا بمتلفين، ولم تجب الفدية في إزالتهما في مقابلة الإِتْلَاف؛ لأنها لو وجبت لكونها إِتْلَافًا لتقيدت بالقيمة، ولا قيمة لهما وإنما هي من باب

(١) أحدهما وهو قول الجمهور: أن الكفارة لا تسقط بالإعسار كدين الأدي.

والثاني: أنها تسقط لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولأن الواجبات تسقط بالعجز عنها ولعل هذا القول أولى. انظر: نيل الأوطار

(٤/٢٤٣). ولأن حقوق الله مبنية على المسامحة.

التَّرفُّهُ المحض كغطية الرأس واللبس، فأى إتلاف هاهنا؟! وعلى هذا فالرَّاجح من الأقوال أن الفدية في ذلك لا تجبُّ مع النسيان والجهل.

القسم الرابع: دم النُّسك كالمتعة والقران^(١)، فهذه إذا عَجَزَ عنها وجبَ عليه بدلُها من الصيام، فإن عَجَزَ عنها ترتَّبَ في ذمَّتِه أحدهُما، فمتى قَدَرَ عليه لَزِمَه، وهل الاعتبارُ بحال الوجوب أو بأغلظ الأحوال؟ فيه خلاف.

وأما حقوق الأدميين؛ فإنَّه لا تسقطُ بالعجز عنها، لكن إن كان عجزُه بتفريط منه في أدائها طُولِبَ بها في الآخرة، وأُخِذَ لصاحبها من حسناته.

وإن كان عَجَزُه بغير تفريط كمن احترق ماله، أو غرق، أو كان الإِتلاف خطأً مع عجزه عن ضمانِه، ففي إشغال ذمَّتِه به وأخذ أصحابها من حسناته نظرٌ، ولم أقفُ على كلام شافٍ للنَّاس في ذلك، والله أعلم. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٣٤٨).



العتب على أربع أمور

قال رحمه الله: وقول النبي ﷺ في دعاء الطائف: «لَكَ الْعُتْبَى» هو اسم من الإعتاب لا من العتب، أي أنت المطلوب إعتابه، ولك علي أن أعتبك وأرضيك بطاعتك فافعل ما ترضى به عني وما يزول به عتبك علي، فالعتب منه على عبده، والعتبي والإعتاب له من عبده فههنا أربعة أمور:

الأول: العتب وهو من الله تعالى، فإن العبد لا يعتب على ربه، فإنه المحسن العادل، فلا يتصور أن يعتب عليه عبده إلا والعبد ظالم، ومن ظن من المفسرين خلاف ذلك، غلط أقبح غلط.

الثاني: الإعتاب وهو من الله ومن العبد باعتبارين، فإعتاب الله عبده إزالة عتب نفسه عن عبده، وإعتاب العبد ربه إزالة عتب الله عليه، والعبد لا قدرة له على ذلك إلا بتعاطي الأسباب التي يزول بها عتب الله تعالى عليه.

الثالث: استعتاب وهو من الله أيضا ومن العبد بالاعتبارين، فالله تعالى يستعتب عباده أي يطلب منهم أن يعتبوه ويزيلوا عتبة عليهم، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه وقد وقعت الزلزلة بالكوفة: إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه، والعبد يستعتب ربه أي يطلب منه إزالة عتبه.

الرابع: العتبي وهي اسم الإعتاب، فاشدد يديك بهذا الفضل الذي يعصمك من تخييط كثير من المفسدين لهذه المواضع، ومنه قول النبي ﷺ: « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ »^(١) فأما محسن فلعله أن يزداد وإما مسيء فلعله أن يستعتب، أي يطلب من ربه إعتابه إياه بتوفيقه للتوبة وقبولها منه؛ فيزول عتبة عليه، والاستعتاب نظير الاسترضاء وهو طلب الرضى وفي الأثر: « إن العبد ليسترضي ربه فيرضى عنه »، وإن الله ليسترضي فيرضى، لكن الاسترضاء فوق الاستعتاب، فإنه طلب رضوان الله تعالى، والاستعتاب طلب إزالة غضبه وعتبه، وهما متلازمان. بدائع الفوائد (٤ / ١٨١).



«١» رواه البخاري برقم (٥٦٧١) ومسلم برقم (٢٦٨٠) عن أنس رضي الله عنه .

للأنفس أربع دور

قال رحمه الله: لهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها:

الدار الأولى: في بطن الأم وذلك الحضر والضيق والغم والظلمات الثلاث

والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليه كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى . الروح (ص: ١١٦).



للعبد أربع نشأت

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : فَلِلْعَبْدِ أَرْبَعُ نَشَاتٍ :

نَشَأَةٌ فِي الرَّحِمِ ، حَيْثُ لَا بَصَرَ يُدْرِكُهُ . وَلَا يَدَ تَنَالُهُ .

وَنَشَأَةٌ فِي الدُّنْيَا .

وَنَشَأَةٌ فِي الْبَرْزَخِ .

وَنَشَأَةٌ فِي الْمَعَادِ الثَّانِي .

وَكُلُّ نَشَأَةٍ أَعْظَمُ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا . وَهَذِهِ النِّشَأَةُ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ أَصْلًا ، وَلِلْبَدَنِ تَبَعًا .

فَلِلرُّوحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ نَشَاتَانِ :

إِحْدَاهُمَا : النِّشَأَةُ الطَّبِيعِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ .

وَالثَّانِيَةُ : نَشَأَةُ قَلْبِيَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ ، يُوَلَدُ بِهَا قَلْبُهُ ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ مَشِيمَةِ طَبْعِهِ ، كَمَا وُلِدَ بَدَنُهُ

وَانْفَصَلَ عَنْ مَشِيمَةِ الْبَطْنِ .

وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَضْرِبْ عَنْ هَذَا صَفْحًا ، وَلْيَسْتَغِلْ بغيره . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد

وإياك نستعين (٣/ ١٣٤) .



خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب

قال رَحِمَهُ اللهُ: خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب:

أحدهما: لا من ذكر ولا من أنثى كآدم عليه السلام.

الثاني: من ذكر بلا أنثى كحواء، عليها السلام.

الثالث: من أنثى بلا ذكر كالمرثدة عليها السلام.

الرابع: من ذكر وأنثى كسائر النوع. تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٧٠).

فائدة: قال رَحِمَهُ اللهُ عن بعض السلف:

خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ عُقُولاً بِلَا شَهْوَةٍ.

وَخَلَقَ الْبَهَائِمَ شَهْوَةً بِلَا عُقُولٍ.

وَخَلَقَ ابْنَ آدَمَ، وَرَكَّبَ فِيهِ الْعَقْلَ وَالشَّهْوَةَ.

فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ: التَّحَقَّ بِالْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلُهُ: التَّحَقَّ بِالْبَهَائِمِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٣٤). وانظر: الرسالة الثلاثية، باب: «في النفس ثلاثة دواع متجاذبة».



الناس أربعة أقسام

قال رحمه الله: فالناس أربعة أقسام:

ضال في علمه، غاو في قصده وعلمه، وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل.

الثاني: مهتد في علمه، غاو في قصده وعمله، وهؤلاء هم الأمة الغضبية ومن تشبه بهم، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به.

الثالث: ضال في علمه، ولكن قصده الخير وهو لا يشعر.

الرابع: مهتد في علمه راشد في قصده، وهؤلاء ورثة الأنبياء، وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قدراً، وهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه.

وتأمل كيف قال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [النجم: ٢] ولم يقل ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط وقد نبه على هذا المعنى بقوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦٩] وبقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ ﴾

بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ [التكوير: ٢٢]. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٤٦).



رُباعيات في المرأة

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ومن محاسن المرأة: اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب.

وإنما يستحب الضيق منها في **أربعة** مواضع: فيها، وخرق أذن، وانفها، وما هنالك. ويستحب السعة منها في **أربعة** مواضع: وجهها، وصدرها، وكاهلها، وهو ما بين كتفيها وجبهتها.

ويستحسن البياض منها في **أربعة** مواضع: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها. ويستحب السواد منها في **أربعة** مواضع: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها. ويستحب الطول منها في **أربعة**: قوامها، وعنقها، وشعرها، وبنانها. ويستحب القصر منها في **أربعة**: وهي معنوية، لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها، فتكون قاصر الطرف، قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في **أربعة**: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢١٩).**



كمال الإيمان في أربعة أمور

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وملاك هذا الشأن - مشهد التقصير - أَرْبَعَةُ أُمُورٍ: نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَقُوَّةٌ عَالِيَةٌ، يقارنهما، رَغْبَةٌ، وَرَهْبَةٌ.

فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ قَوَاعِدُ هَذَا الشَّأْنِ، وَمَهُمَا دَخَلَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ النَّقْصِ فِي إِيْمَانِهِ وَأَحْوَالِهِ وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَهُوَ مِنْ نُقْصَانِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ نُقْصَانِ بَعْضِهَا، فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّيِّيبُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْيَاءَ وَلِيَجْعَلْهَا سِيرَهُ وَسُلُوكَهُ وَيَبْنِي عَلَيْهَا عِلْمَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَمَا نَتَجُ مِنْ نَتَجٍ إِلَّا مِنْهَا وَلَا تَخْلُفُ مِنْ تَخْلُفٍ إِلَّا مِنْ فَقْدِهَا. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٤٦).



داعي الحب من المحب أربعة أشياء

قال رحمه الله: داعي الحب من المحب أربعة أشياء:

أولها: النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وصف له فكثير من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي ﷺ المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والحديث في الصحيح.

الثاني: الاستحسان فإن لم يورث نظره استحسانا لم تقع المحبة.

الثالث: الفكر في المنظور وحديث النفس به فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح ولهذا قيل العشق حركة قلب فارغ ومتى صادف هذا النظر والاستحسان والفكر قلبا خاليا تمكن منه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فإن قيل فهل يتوقف على الطمع في الوصول إلى المحبوب أم لا قيل الناس في هذا على أقسام منهم من يعشق الجمال المطلق فقلبه معلق به إن استقلت ركائبه وإن حلت مضاربه وهذا لا يتوقف عشقه على الطمع ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمعت نفسه في وصاله أم لم تطمع ومنهم من لا يعشق إلا من طمعت نفسه في وصاله فإن يئس منه لم يعلق حبه بقلبه والأقسام الثلاثة واقعة في الناس، فإذا وجد النظر والاستحسان

والفكر، والطمع هاجت بلابله وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم دأؤه وعجز عن الأطباء دواؤه:

تالله ما أسر الهوى من عاشق * إلا وعز على النفوس فكاكه
 وإذا كان النظر مبدأ العشق فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة
 عينه وإذ قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حكمه وغائلته. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٩٠).



الركعة الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء

قال رحمه الله: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي -الركعة- الثَّانِيَةَ كَالْأُولَى سَوَاءً، إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

السُّكُوتِ، وَالِاسْتِفْتَاخَ، وَتَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ، وَتَطْوِيلَهَا كَالْأُولَى، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَسْتَفْتِخُ، وَلَا يَسْكُتُ، وَلَا يُكَبِّرُ لِلْإِحْرَامِ فِيهَا، وَيَقْصِرُهَا عَنِ الْأُولَى، فَتَكُونُ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنْهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا تَقَدَّمَ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٣٥).



مؤذني النبي ﷺ أربعة

قال رسول الله ﷺ: مؤذنيه أربعة: اثنان بالمدينة: **بلال بن رباح**، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، و**عمرو بن أم مكتوم** القرشي العامري الأعمى، وبقباء: **سعد القرظ** مؤلى **عمار بن ياسر**، وبمكة: **أبو محذورة**، واسمه أوس بن مغيرة الجمحي، وكان أبو محذورة منهم يرجع الأذان، ويثني الإقامة، وبلال لا يرجع، ويفرد الإقامة.

فأخذ الشافعي رحمه الله وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة رحمه الله، وأهل العراق بأذان بلال، وإقامة أبي محذورة، وأخذ الإمام أحمد رحمه الله، وأهل الحديث، وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالف مالك رحمه الله في الموضعين: إعادة التكبير: وتثنية لفظ الإقامة، فإنه لا يكررها. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٢٠).



أسفار النبي ﷺ على أربعة أقسام

قال رحمه الله: كَانَتْ أَسْفَارُهُ ﷺ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَسْفَارٍ:

سَفَرُهُ لِهَجْرَتِهِ.

وَسَفَرُهُ لِلْجِهَادِ، وَهُوَ أَكْثَرُهَا.

وَسَفَرُهُ لِلْعُمْرَةِ.

وَسَفَرُهُ لِلْحَجِّ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١ / ٤٤٤).



قصد اللفظ وعدمه على مراتب أربع

قال رحمه الله: وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ قَصَدَ اللَّفْظَ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ وَلَمْ يُرِدْ حُكْمَهُ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَقْصِدِ اللَّفْظَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَعْنَاهُ، فَالْمَرَاتِبُ الَّتِي اعْتَبَرَهَا الشَّارِعُ أَرْبَعَةٌ:

إِحْدَاهَا: أَنْ لَا يَقْصِدَ الْحُكْمَ وَلَا يَتَلَفَّظَ بِهِ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ لَا يَقْصِدَ اللَّفْظَ وَلَا حُكْمَهُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَقْصِدَ اللَّفْظَ دُونَ حُكْمِهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقْصِدَ اللَّفْظَ وَالْحُكْمَ فَلِأُولَئِكَ لَعَوٌّ، وَالْآخِرَتَانِ مُعْتَبِرَتَانِ. هَذَا الَّذِي اسْتَفِيدَ مِنْ مَجْمُوعِ نُصُوصِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَعَلَى هَذَا فَكَلَامُ الْمُكْرَهِ كُلُّهُ لَعَوٌّ لَا عِبْرَةَ بِهِ، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى التَّكْلِمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لَا يَكْفُرُ وَمَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْإِسْلَامِ لَا يَصِيرُ بِهِ مُسْلِمًا، وَدَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَجَاوَزَ عَنِ الْمُكْرَهِ فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِمَا أَكْرَهَ عَلَيْهِ، وَهَذَا يُرَادُ بِهِ كَلَامُهُ قَطْعًا، وَأَمَّا أَفْعَالُهُ، فَفِيهَا تَفْصِيلٌ، فَمَا أُبِيحَ مِنْهَا بِالْإِكْرَاهِ فَهُوَ مُتَجَاوِزٌ عَنْهُ كَالْأَكْلِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَالْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ وَلُبْسِ الْمَخِيطِ فِي الْإِحْرَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ١٨٦).



الطلاق من حيث الحل والحرمة على أربعة أوجه

قال رحمه الله: أنواع الطلاق من حيث الحل والحرمة:

فَتَضَمَّنَ هَذَا الْحُكْمُ أَنَّ الطَّلَاقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهَانِ حَلَالٌ، وَوَجْهَانِ حَرَامٌ.
فَالْحَلَالَانِ: أَنْ يُطْلَقَ امْرَأَتُهُ طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ يُطْلَقَهَا حَامِلًا مُسْتَبِينًا حَمْلُهَا.
وَالْحَرَامَانِ: أَنْ يُطْلَقَهَا وَهِيَ حَائِضٌ، أَوْ يُطْلَقَهَا فِي طَهْرِ جَامِعِهَا فِيهِ هَذَا فِي طَلَاقِ
الْمَدْخُولِ بِهَا.

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، فَيَجُوزُ طَلَاقُهَا حَائِضًا وَطَاهِرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وَهَذِهِ لَا عِدَّةَ لَهَا، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ بِقَوْلِهِ: «فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ»^(١)، وَلَوْلَا هَاتَانِ الْآيَتَانِ اللَّتَانِ

فِيهِمَا إِبَاحَةُ الطَّلَاقِ قَبْلَ الدُّخُولِ، لَمَنَعَ مِنْ طَلَاقٍ مَنْ لَا عِدَّةَ لَهُ عَلَيْهَا. زاد المعاد (٥ / ١٩٩).



^(١) رواه البخاري برقم (٥٣٣٢) ومسلم برقم (١٤٧١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

جهات ثبوت النسب أربعة

قال رحمه الله: وَجِهَاتُ ثُبُوتِ النَّسَبِ أَرْبَعَةٌ: **الْفِرَاشُ، وَالِإِسْتِلْحَاقُ، وَالْبَيْتَةُ، وَالْقَافَةُ،** فَالثَّلَاثَةُ الْأُولَى مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ النِّكَاحَ يَثْبُتُ بِهِ الْفِرَاشُ، وَاخْتَلَفُوا فِي التَّسْرِي فَجَعَلَهُ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ مُوجِبًا لِلْفِرَاشِ، وَاحْتَجُّوا بِصَرِيحِ حَدِيثِ عَائِشَةَ الصَّحِيحِ^(١)، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِالْوَلَدِ لَزْمَةً، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ صَاحِبُ الْفِرَاشِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عِلَّةً لِلْحُكْمِ بِالْوَلَدِ لَهُ، فَسَبَبُ الْحُكْمِ وَمَحَلُّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي الْأُمَّةِ، فَلَا يَجُوزُ إِخْلَاءُ الْحَدِيثِ مِنْهُ وَحَمْلُهُ عَلَى الْحُرَّةِ الَّتِي لَمْ تُذَكَّرِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَ الْحُكْمُ فِي غَيْرِهَا، فَإِنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ إِنْغَاءَ مَا اعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ وَعَلَّقَ الْحُكْمَ بِهِ صَرِيحًا، وَتَعْطِيلَ مَحَلِّ الْحُكْمِ الَّذِي كَانَ لِأَجْلِهِ وَفِيهِ.

ثُمَّ لَوْ لَمْ يَرِدِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِيهِ لَكَانَ هُوَ مُقْتَضَى الْمِيزَانِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْمُتَمَثِّلِينَ، فَإِنَّ السُّرِّيَّةَ فِرَاشٌ حِسًّا وَحَقِيقَةً وَحُكْمًا، كَمَا أَنَّ الْحُرَّةَ كَذَلِكَ، وَهِيَ تُرَادُّ لِمَا تُرَادُّ لَهُ الزَّوْجَةُ مِنَ الْإِسْتِمْتَاعِ وَالِإِسْتِيلَادِ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَرْغَبُونَ فِي السَّرَارِيِّ لِإِسْتِيلَادِهِنَّ وَاسْتِفْرَاشِهِنَّ، وَالزَّوْجَةُ إِنَّمَا سُمِّيَتْ فِرَاشًا لِمَعْنَى هِيَ وَالسُّرِّيَّةُ فِيهِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ٣٦٨).



«١» رواه البخاري برقم (٢٠٥٣) ومسلم برقم (١٤٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.

يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقيل: أقل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء:

عِلْمٌ يَسُوءُهُ.

وَوَرَعٌ يَحْجِرُهُ.

وَيَقِينٌ يَحْمِلُهُ.

وَذِكْرٌ يُؤْنِسُهُ.

طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٤٩).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وَقِيلَ: أَرْكَانُ الْفَقْرِ أَرْبَعَةٌ:

عِلْمٌ يَسُوءُهُ.

وَوَرَعٌ يَحْجِرُهُ.

وَيَقِينٌ يَحْمِلُهُ.

وَذِكْرٌ يُؤْنِسُهُ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤١٢).



لا يقوم صلاح العبد إلا بأربعة أمور

قال رحمه الله: فيها هنا أربعة أشياء:

أمر محبوب مطلوب الوجود.

والثاني: أمر مكروه مطلوب العدم.

والثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد بل ولكل حي سوى الله، لا يقوم صلاحه إلا بها إذا عرف هذا فالله سبحانه وتعالى هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره، وما سواه هو المكروه المطلوب بعده وهو المعين على دفعه.

فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، فإن هذه العبادة تتضمن المقصود المطلوب على

أكمل الوجوه، والمستعان هو الذى يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه.

طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٥٥).



تظهر صدق محبة المحب لله تعالى في أربعة مواطن

قال رحمه الله: ففوة تعلق المحب بمحبوبه توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته وقلت شواغله اجتمعت عليه شئون قلبه، بل قوي سيره إلى محبوبه.

ومحك هذا الحال يظهر في مواطن أربعة:

أحدها: عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه. فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه. فإنه إذا استيقظ وردت إليه روحه رد معها إليه ذكر محبوبه الذي كان قد غاب عنه في النوم. ولكن كان قد خالط روحه وقلبه، فلما ردت إليه الروح أسرع من الطرف رد إليه ذكر محبوبه متصلاً بها، مصاحباً لها.

فورد عليه قبل كل وارد، وهجم عليه قبل كل طارق. فإذا وردت عليه الشواغل والقواطع وردت على محل ممتليء بمحبة ما يحبه فوردت على ساحته من ظاهرها، فإذا قضى وطره منها قضاه بمصاحبتة لما في قلبه من الحب.

فإنه قد لزمه ملازمة الغريم لغريمه ولذلك يسمى غراماً، وهو الحب اللازم الذي لا يفارق: فسمع بمحبوه وأبصر به وبطش به ومشى به، فصار محبوبه في وجوده، في محل

سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. هذا مثل محبوبه في وجوده وهو غير متحد به، بل هو قائم بذاته مباين له. وهذا المعنى مفهوم بين الناس لا ينكره منهم إلا غليظ الحجاب، أو قليل العلم، ضعيف العقل، يجد محبوبه قد استولى على قلبه وذكره، فيظن أنه هو نفس ذاته الخارجة قد اتحدت به أو حلت فيه، فينشأ من قسوة الأول وكثافته غلظ حجاب، ومن قلة علم الثاني ومعرفته وضعف تمييزه ضلال الحلول والاتحاد وضلال الإنكار والتعطيل والحرمان، ويخرج للبصير من بين فرث هذا ودم هذا لبن الفطرة الأولى خالصاً سائغاً للشاربين.

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة، فإنها محك الأحوال وميزان الإيمان، بها يوزن إيمان الرجل و يتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألد لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إن كان محباً فإنه لا شيء أثر عند المحب ولا أطيّب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه، وقد أقبل بقلبه على محبوبه، وكان قبل ذلك معذباً بمقاساة الأغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم فإذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه وأوى عنده واطمأن بذكره وقرت عينه بالمشول بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهم إليه من الصلاة، كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد

انفسخ وانشرح واستراح، كما قال النبي ﷺ لبلال: « يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ »، ولم يقل: أرحنا منها، كما يقول المبطلون الغفلون.

وقال بعض السلف: ليس بمستكمل الإيمان من لم يزل في هم وغم حتى تحضر الصلاة فيزول همه وغمه، أو كما قال. فالصلاة قرّة عيون المحبين وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، يحملون هم الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطلال همها حتى يقضيها بسرعة، فَلَهُمْ فيها شَأْنٌ وللنقارين شَأْنٌ، يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم، كما يشكوا الغافل وللنقارين شَأْنٌ يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم كما يشكوا المعرض تطويل إمامه، فسبحان من فاضل بين النفوس وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم.

وبالجملة فمن كان قرّة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويودّ أن لو قطع عمره بها غير مشغل بغيرها، وإنما يسلى نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قرب فهو دائماً يثوب إليها ولا يقضي منها وطراً، فلا يزن العبد إيمانه ومحبه الله بمثل ميزان الصلاة، فإنها الميزان العادل، الذي وزنه غير عائل.

الموطن الرابع: عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده. ولهذا كانوا يفتخرون بذكرهم من يحبونهم عند الحرب واللقاء، وهو كثير في أشعارهم كما قال:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر

وقال غيره:

ولقد ذكرتكَ والرماح كأنها * * أشطان بئر في لبان الأدهم
وقد جاء في بعض الآثار: يقول تبارك وتعالى: « إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي
يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ يَعْنِي: عِنْدَ الْقِتَالِ »^(١)، والسر في هذا - والله أعلم - أن عند مصائب
الشدائد والأهوال يشتد خوف القلب من فوات أحب الأشياء إليه، وهي حياته التي لم
يكن يؤثرها إلا لقربه من محبوبه، فهو إنما يحب حياته لتنعمه بمحبوبه، فإذا خاف فوتها
بدر إلى قلبه ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته. طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٣٠٦).



« ١ » انظر: الضعيفة للعلامة الألباني (٣١٣٥).

قيام الحجة مبنية على أربعة أصول

قال رحمه الله: إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة والتعيين موكل إلى علم الله عز وجل وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب.

وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم. وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة أصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وهذا كثير في

القرآن، يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، وهو المذنب الذي يعترف بذنبه، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكن من معرفته، وأما من لم يكن عنده من الرسول خبراً أصلاً ولا يمكن من معرفته بوجه وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم؟

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية دون أخرى كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له. فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة كما تقدم في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما.

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها سبحانه، وأنها مقصودة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة. وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات الذي عليه نبي مع تلقي أحكامها من نصوص التكاب والسنة لا من أراء الرجال وعقولهم ولا يدري عدد الكلام في هذه الطبقات، إلا من عرف ما في كتب الناس

ووقف على أقوال الطوائف في هذا الباب والنهي إلى غاية مراتبهم ونهاية إقدامهم، والله الموفق للسداد الهادي إلى الرشاد.

وأما من لم يثبت حكمة ولا تعليلاً، ورد الأمر إلى محض المشيئة التي ترجح أحد المثلين على الآخر بلا مرجح، فقد أراح نفسه من هذا المقام الضنك واقتحام عقبات

هذه المسائل العظيمة، وأدخلها كلها تحت قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)

﴿[الأنبياء: ٢٣] ، وهو الفعال لما يريد، وصدق الله وهو أصدق القائلين: ﴿لَا يُسْأَلُ

عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لكمال حكمته وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها، وأنه ليس

في أفعاله خلل ولا عبث ولا فساد يسأل عنه كما يسأل المخلوق، وهو الفعال لما يريد

ولكن لا يريد أن يفعل إلا ما هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة، فلا يفعل الشر ولا

الفساد ولا الجور ولا خلاف مقتضى حكمته، لكمال أسمائه وصفاته، وهو الغني

الحميد العليم الحكيم. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٤١٣).



الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أربعة أمور

قال رحمه الله: أنَّ الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أمورٌ أربعة: **أمران** لفظيان، و**أمران** معنويان.

فاللفظيان: **ثبوتي** و**سلبي**، فالثبوتي: أن يشتق للموصوف منها اسمٌ. والسلبي: أن يمتنع الاشتقاق لغيره.

والمعنويان: **ثبوتي** و**سلبي**؛ فالثبوتي: أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه. والسلبي أن لا يعود حكمها إلى غيره ولا يكون خبراً عنه.

وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثلاً واحداً وهو صفة الكلام. فإنها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم تقم به، وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر، ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر، وخاطب، وتكلم، وكلم، ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره على عدم قيامها به، وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من أصح الأصول طرداً وعكساً. **فائدة جلية في قواعد الأسماء**

الحسنى (ص: ٣٧).



الأسباب مع مسبباتها على أربعة أنواع

قال رحمه الله: وَالْأَسْبَابُ مَعَ مُسَبِّبَاتِهَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

مَحْبُوبٌ يُفْضِي إِلَى مَحْبُوبٍ.

وَمَكْرُوهٌ يُفْضِي إِلَى مَحْبُوبٍ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ أَقْضِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ سُبْحَانَهُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَكْرُوهٌ يُفْضِي إِلَى مَكْرُوهٍ.

وَالرَّابِعُ: مَحْبُوبٌ يُفْضِي إِلَى مَكْرُوهٍ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ مُمْتَنِعَانِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، إِذِ
الْغَايَاتُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ الَّذِي مَا خَلَقَ مَا خَلَقَ، وَلَا قَضَى مَا قَضَى إِلَّا لِأَجْلِ
حُصُولِهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَحْبُوبَةً لِلرَّبِّ مَرْضِيَّةً لَهُ. وَالْأَسْبَابُ الْمُوصِلَةُ إِلَيْهَا مُنْقَسِمَةٌ إِلَى
مَحْبُوبٍ لَهُ وَمَكْرُوهٍ لَهُ.

فَالطَّاعَاتُ وَالتَّوْحِيدُ أَسْبَابٌ مَحْبُوبَةٌ لَهُ، مُوصِلَةٌ إِلَى الْإِحْسَانِ، وَالثَّوَابُ الْمَحْبُوبُ لَهُ
أَيْضًا.

وَالشُّرُكُ وَالْمَعَاصِي أَسْبَابٌ مَسْخُوطَةٌ لَهُ، مُوصِلَةٌ إِلَى الْعَذْلِ الْمَحْبُوبِ لَهُ، وَإِنْ كَانَ
الْفَضْلُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذْلِ، فَاجْتِمَاعُ الْعَذْلِ وَالْفَضْلِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا عَنْ
الْآخَرِ، لِمَا فِيهِمَا مِنْ كَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَتَنَوُّعِ الشَّأْنِ، وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: كَانَ يُمَكِّنُ حُصُولَ هَذَا الْمَحْبُوبِ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ الْمَكْرُوهِ. مدارج السالكين بين منازل

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (١ / ٤٢١).



حسن الخلق يقوم على أربعة أركان

قال رسول الله ﷺ: وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ لَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ.

فَالصَّبْرُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِحْتِمَالِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَالْحِلْمِ وَالْأَنَانَةِ وَالرَّفْقِ، وَعَدَمِ الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ.

وَالْعِفَّةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى اجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الْحَيَاءِ. وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ. وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ، وَالْبُخْلِ وَالْكَذِبِ، وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ.

وَالشَّجَاعَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى عِزَّةِ النَّفْسِ، وَإِثَارِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ، وَعَلَى الْبَذْلِ وَالنَّدَى، الَّذِي هُوَ شَجَاعَةُ النَّفْسِ وَقُوَّتُهَا عَلَى إِخْرَاجِ الْمَحْبُوبِ وَمُفَارَقَتِهِ. وَتَحْمِلُهُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَالْحِلْمِ. فَإِنَّهُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهَا يُمَسِّكُ عِنَانَهَا، وَيَكْبَحُهَا بِلِجَامِهَا عَنِ النَّزْغِ وَالْبَطْشِ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ: الَّذِي يَمْلِكُ

نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١) وَهُوَ حَقِيقَةُ الشَّجَاعَةِ، وَهِيَ مَلَكَهُ يَقْتَدِرُ بِهَا الْعَبْدُ عَلَى قَهْرِ خَصْمِهِ.

وَالْعَدْلُ: يَحْمِلُهُ عَلَى اعْتِدَالِ أَخْلَاقِهِ، وَتَوَسُّطِهِ فِيهَا بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ. فَيَحْمِلُهُ عَلَى خُلُقِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْفَحْصَةِ. وَعَلَى خُلُقِ

«١» رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الشَّجَاعَةُ، الَّذِي هُوَ تَوَسُّطُ بَيْنِ الْجَبَنِ وَالتَّهَوُّرِ. وَعَلَى خُلُقِ الْحِلْمِ، الَّذِي هُوَ تَوَسُّطُ بَيْنِ الْغَضَبِ وَالْمَهَانَةِ وَسُقُوطِ النَّفْسِ.

وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ.

وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاوُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ. وَالظُّلْمُ. وَالشَّهْوَةُ. وَالغَضَبُ.

فَالْجَهْلُ: يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ. وَالْكَمَالَ نَقْصًا وَالنَّقْصَ كَمَالًا.

وَالظُّلْمُ: يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا. وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْعُصْبِ. وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاءِ. وَيَبْخُلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ. وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ. وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ. وَيُقَدِّمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ. وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ. وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ. وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ. وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضَعِ.

وَالشَّهْوَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ وَالنَّهْمَةِ وَالْجَشَعِ، وَالذِّلِّ وَالذَّنَاءَاتِ كُلِّهَا.

وَالغَضَبُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبَرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ وَالسَّفَةِ.

وَيَتَرَكَّبُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ خُلُقَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ: أَخْلَاقُ مَذْمُومَةٌ.

وَمِلَاكُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَصْلَانِ: إِفْرَاطُ النَّفْسِ فِي الضَّعْفِ، وَإِفْرَاطُهَا فِي الْقُوَّةِ. فَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الضَّعْفِ: الْمَهَانَةُ وَالْبُخْلُ، وَالْخِسَّةُ وَاللُّؤْمُ، وَالذُّلُّ وَالْحِرْصُ، وَالشُّحُّ وَسَفْسَافُ الْأُمُورِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الْقُوَّةِ: الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ وَالْحِدَّةُ، وَالْفُحْشُ وَالطَّيْشُ. وَيَتَوَلَّدُ مِنْ تَزَوُّجِ أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ بِالْآخَرِ أَوْلَادُ غِيَّةٍ كَثِيرُونَ. فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَجْمَعُ قُوَّةً وَضَعْفًا. فَيَكُونُ صَاحِبُهَا أَجْبَرَ النَّاسِ إِذَا قَدَرَ، وَأَذْلَهُمْ إِذَا قَهَرَ، ظَالِمًا عَنُوفًا جَبَّارًا. فَإِذَا قَهَرَ صَارَ أَذَلَّ مِنَ امْرَأَةٍ: جَبَانًا عَنِ الْقَوِيِّ، جَرِيئًا عَلَى الضَّعِيفِ. فَالْأَخْلَاقُ الدِّمِيمَةُ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَمَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَكُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ مُكْتَنَفٌ بِخُلُقَيْنِ ذَمِيمَيْنِ. وَهُوَ وَسْطُ بَيْنَهُمَا. وَطَرَفَاهُ خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ، كَالْجُودِ: الَّذِي يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا الْبُخْلِ وَالتَّبَذِيرِ. وَالتَّوَّاضُعِ: الَّذِي يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ. وَالْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ.

فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى انْحَرَفَتْ عَنِ التَّوَسُّطِ انْحَرَفَتْ إِلَى أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ الذَّمِيمَيْنِ وَلَا بُدَّ، فَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ التَّوَّاضُعِ انْحَرَفَتْ: إمَّا إِلَى كِبَرٍ وَعُلُوٍّ، وَإِمَّا إِلَى ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ. وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْحَيَاءِ انْحَرَفَتْ: إمَّا إِلَى قِحَةٍ وَجُرْأَةٍ، وَإِمَّا إِلَى عَجْزٍ وَخَوَرٍ وَمَهَانَةٍ، بِحَيْثُ يُطْمَعُ فِي نَفْسِهِ عَدُوَّهُ. وَيَفُوتُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَصَالِحِهِ. وَيَزْعُمُ أَنَّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَيَاءِ. وَإِنَّمَا هُوَ الْمَهَانَةُ وَالْعَجْزُ، وَمَوْتُ النَّفْسِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك



ذهاب الإسلام من أربعة

قال رحمه الله: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَلْخِيُّ: ذَهَابُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَرْبَعَةٍ:

لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ.

وَيَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَلَا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَعْمَلُونَ.

وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٣٦).



الحجب التي بين القلب وبين الله عزوجل تنشأ من أربعة عناصر

قال رحمه الله: فَهَذِهِ عَشْرُ حُجُبٍ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الشَّانِ، وَهَذِهِ الْحُجُبُ تَنْشَأُ مِنْ أَرْبَعَةِ عَنَاصِرٍ:

عُنْصُرُ النَّفْسِ، وَعُنْصُرُ الشَّيْطَانِ، وَعُنْصُرُ الدُّنْيَا، وَعُنْصُرُ الْهَوَى، فَلَا يُمَكِّنُ كَشْفُ هَذِهِ الْحُجُبِ مَعَ بَقَاءِ أَصُولِهَا وَعَنَاصِرِهَا فِي الْقَلْبِ أَلْبَتَّةَ.

وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْعَنَاصِرُ: تُفْسِدُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالْقَصْدَ وَالطَّرِيقَ بِحَسَبِ غَلَبَتِهَا وَقَلَّتِهَا، فَتَقْطَعُ طَرِيقَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْقَصْدِ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، وَمَا وَصَلَ مِنْهُ إِلَى الْقَلْبِ قَطَعَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الرَّبِّ، فَبَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ مَسَافَةٌ يُسَافِرُ فِيهَا الْعَبْدُ إِلَى قَلْبِهِ لِيرَى عَجَائِبَ مَا هُنَالِكَ.

وَفِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ قُطَاعُ الطَّرِيقِ الْمَذْكُورُونَ، فَإِنْ حَارَبَهُمْ وَخَلَصَ الْعَمَلُ إِلَى قَلْبِهِ دَارَ فِيهِ، وَطَلَبَ النُّفُوزَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ

الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢].

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَثَابَهُ عَلَيْهِ مَزِيدًا فِي إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَعَقْلِهِ، وَجَمَلَ بِهِ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَهَدَاهُ بِهِ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَرَفَ عَنْهُ بِهِ سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَأَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْقَلْبِ جُنْدًا يُحَارِبُ بِهِ قُطَاعَ الطَّرِيقِ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فِيحَارِبُ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا وَإِخْرَاجُهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يَضُرُّهُ أَنْ تَكُونَ فِي يَدِهِ وَبَيْتِهِ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ يَقِينِهِ بِالْآخِرَةِ، يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ بِتَرْكِ الْإِسْتِجَابَةِ لِدَاعِي الْهَوَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْهَوَى لَا يُفَارِقُهُ، وَيُحَارِبُ الْهَوَى بِتَحْكِيمِ الْأَمْرِ الْمُطْلَقِ وَالْوُقُوفِ مَعَهُ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَهُ هَوًى فِيمَا يَفْعَلُهُ وَيَتْرُكُهُ، وَيُحَارِبُ النَّفْسَ بِقُوَّةِ الْإِخْلَاصِ. مدارج السالكين بين

منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢١٢)



إنكار المنكر على أربع درجات

قال رحمه الله: فَإِنكَارُ الْمُنْكَرِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ:

الأولى: أَنْ يَرْوَلَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ.

الثانية: أَنْ يَقِلَّ وَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِجُمْلَتِهِ.

الثالثة: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ.

الرابعة: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

فَالدَّرَجَتَانِ الْأُولَيَانِ مَشْرُوعَتَانِ، وَالثَّالِثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ، وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ. إعلام الموقعين عن

رب العالمين (٣/ ١٢).



القلوب أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد قسم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ القلوب إلى أربعة كما صح عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: القلوب أربعة:

قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن.

وقلب أغلف فذلك قلب الكافر.

وقلب منكوس فذلك قلب المنافق عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمى.

وقلب تمده مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما.

فقوله: قلب أجرد أي متجرد مما سوى الله ورسوله فقد تجرد وسلم مما سوى الحق و فيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان : فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١ / ١٢) .



لا بد للقلب من أربعة أمور في سيره إلى الله تعالى

قال رحمه الله: لما كان الإنسان؛ بل وكل حي متحرك بالإرادة، لا ينفك عن علم وإرادة وعمل بتلك الإرادة، وله مراد مطلوب، وطريق وسبب يوصل إليه، معين عليه، وتارة يكون السبب منه، وتارة من خارج منفصل عنه، وتارة منه ومن الخارج، فصار الحى مجبولا على أن يقصد شيئا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في حصول مراده. والمراد قسمان: أحدهما: ما هو مراد لنفسه. والثاني: ما هو مراد لغيره. والمستعان قسمان؛ أحدهما: ما هو مستعان بنفسه، والثاني: ما هو تبع له وآلة. فهذه أربعة أمور: **مراد** لنفسه، و**مراد** لغيره، و**مستعان** بنفسه، و**مستعان** بكونه آلة وتبعا للمستعان بنفسه.

فلا بد للقلب من مطلوب يطمئن إليه، وينتهي إليه محبته. ولا بد له من شيء يتوصل به؛ ويستعين به في حصول مطلوبه، والمستعان مدعو ومسئول، والعبادة والاستعانة كثيرا ما يتلازمان، فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ومنفعته ونفعه خضع له، وذل له، وانقاد له وأحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه حكم الحال حتى يحبه لذاته، وينسى مقصوده منه، وأما من أحبه القلب وأراده وقصده فقد لا يستعين به، ويستعين بغيره عليه كمن أحب مالا أو منصبا أو امرأة، فإن علم أن محبوبه قادر على تحصيل غرضه استعان به، فاجتمع له محبته والاستعانة به.

فالأقسام أربعة: محبوب لنفسه وذاته، مستعان بنفسه. فهذا أعلى الأقسام، وليس ذلك إلا لله وحده. وكل ما سواه فإنما ينبغي أن يحب تبعاً لمحبتة، ويستعان به لكونه آلة وسبباً.

الثاني: محبوب لغيره ومستعان به أيضاً، كالمحسوب الذي هو قادر على تحصيل غرض محبه.

الثالث: محبوب مستعان عليه بغيره

الرابع: مستعان به غير محبوب في نفسه.

فإذا عرف ذلك تبين من أحق هذه الأقسام الأربعة بالعبودية والاستعانة، وأن محبة غيره واستعانت به إن لم تكن وسيلة إلى محبته واستعانت به، وإلا كانت مضرة على العبد، ومفسدتها أعظم من مصلحتها. والله المستعان وعليه التكلان. إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان (١)

(٤٣).



صلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بأربعة أمور

قال رحمه الله: وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»^(١) كيف يطهر الخطايا بذلك، وما فائدة التخصيص بذلك وقوله في لفظ آخر: «وَالْمَاءِ الْبَارِدِ»^(٢) والحار أبلغ في الإنقاء.

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه والماء يغسل الخبث ويطفئ النار. فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته؛ فكان أذهب لأثر الخطايا، هذا معنى كلامه وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح.

فاعلم أن ههنا أربعة أمور: أمران حسيان وأمران معنويان، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان.

«١» رواه الإمام البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«٢» رواها مسلم (٤٧٦) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا، فذكر النبي ﷺ من كل شطر
 قسما نبه به على القسم الآخر فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن

البيان. إغاثة اللفغان من مصائد الشيطان (١ / ٥٧).



الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام

قال **رحمته الله**: ثُمَّ هَذِهِ الذُّنُوبُ تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: **مَلَكِيَّةٍ، وَشَيْطَانِيَّةٍ، وَسَبْعِيَّةٍ، وَبَهِيمِيَّةٍ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ.**

فَالذُّنُوبُ الْمَلَكِيَّةُ أَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَصِحُّ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالْعِظَمَةِ، وَالْكِبَرِيَاءِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْقَهْرِ، وَالْعُلُوِّ، وَاسْتِعْبَادِ الْخَلْقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا شِرْكُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ نَوْعَانِ: شِرْكٌ بِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَعَلَ آلِهَةً أُخْرَى مَعَهُ.

وَشِرْكٌ بِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَهَذَا الثَّانِي قَدْ لَا يُوجِبُ دُخُولَ النَّارِ، وَإِنْ أَحْبَطَ الْعَمَلُ الَّذِي أَشْرَكَ فِيهِ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ نَازَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نِدًّا، وَهَذَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ.

وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ: فَالْتَّشَبُّهُ بِالشَّيْطَانِ فِي الْحَسَدِ، وَالْبَغْيِ وَالْغِشِّ وَالْغُلِّ وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ، وَالْأَمْرَ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَتَحْسِينِهَا، وَالنَّهْيَ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَهْجِينِهَا، وَالْإِبْتِدَاعَ فِي دِينِهِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ.

وَهَذَا النَّوعُ يَلِي النَّوعَ الْأَوَّلَ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ دُونَهُ.

وَأَمَّا السَّبْعِيَّةُ: فَذُنُوبُ الْعُدْوَانِ وَالْغَضَبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الضُّعْفَاءِ
وَالْعَاجِزِينَ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَنْوَاعُ أَذَى النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْجَرَاةِ عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.
وَأَمَّا الذُّنُوبُ الْبَهِيمِيَّةُ: فَمِثْلُ الشَّرِّهِ وَالْحِرْصِ عَلَى قَضَاءِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَمِنْهَا
يَتَوَلَّدُ الزَّنا وَالسَّرِيقَةُ وَأَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَالْبُخْلُ، وَالشُّحُّ، وَالْجُبْنُ، وَالْهَلَعُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.
وَهَذَا الْقِسْمُ أَكْثَرُ ذُنُوبِ الْخَلْقِ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الذُّنُوبِ السَّبْعِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ
إِلَى سَائِرِ الْأَقْسَامِ، فَهُوَ يَجْرُهُمْ إِلَيْهَا بِالزَّمَامِ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى الذُّنُوبِ السَّبْعِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى
الشَّيْطَانِيَّةِ، ثُمَّ مُنَازَعَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالشَّرْكِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا حَقَّ التَّأَمُّلِ، تَبَيَّنَ لَهُ
أَنَّ الذُّنُوبَ دِهْلِيزُ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَمُنَازَعَةِ اللَّهِ رَبُّوبِيَّتَهُ. الدَّاءُ وَالِدُ الدَّاءِ (ص: ١٢٤).



يجمع التوبة أربعة أشياء

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: يَجْمَعُهَا - أي التوبة - أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ:

الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ.

وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ.

وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعُودِ بِالْجَنَانِ.

وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٣١٧).



البعد من الله على مراتب أربعة

قال رحمه الله: الْقَلْبُ كُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ كَانَتْ الْآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرَّبَ مِنَ اللَّهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ وَالْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ مَرَاتِبٌ، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ:

فَالْغَفْلَةُ تُبْعِدُ الْقَلْبَ عَنِ اللَّهِ.

وَبُعْدُ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْغَفْلَةِ.

وَبُعْدُ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْمَعْصِيَةِ.

وَبُعْدُ النِّفَاقِ وَالشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

الداء والدواء (ص: ٧٩).



جمال الله سبحانه وتعالى على أربع مراتب

قال رحمه الله: وجماله سبحانه على أربع مراتب:

جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماءه كلها

حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة.

وأما جمال الذات وما هو عليه؛ فأمر لا يُذكره سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند

المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مصون

عن الأغيار، محجوب بستر الرداء والإزار، كما قال رسوله ﷺ فيما يحكى عنه: »

الكبرياء ردائي والعظمة إزاري«^(١). الفوائد (ص: ١٨٢).



«١» رواه الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٥٤١).

ذل العبودية على أربع مراتب

قال رحمه الله: فَإِنَّ النَّفْسَ فِيهَا مُضَاهَاةٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَلَوْ قَدَّرَتْ لَقَالَتْ كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ، وَلَكِنَّهُ قَدَّرَ فَأَظْهَرَ، وَغَيْرُهُ عَجَزَ فَأَضْمَرَ، وَإِنَّمَا يُخَلِّصُهَا مِنْ هَذِهِ الْمُضَاهَاةِ ذُلُّ الْعُبُودِيَّةِ، وَهُوَ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَهِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ، فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فَقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَكُلُّ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْأَلُونَهُ، وَهُوَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: ذُلُّ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَهُوَ ذُلُّ الْإِخْتِيَارِ، وَهَذَا خَاصٌّ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَهُوَ سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: ذُلُّ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ الْمَحَبَّ ذَلِيلٌ بِالذَّاتِ، وَعَلَى قَدْرِ مَحَبَّتِهِ لَهُ يَكُونُ ذُلُّهُ، فَالْمَحَبَّةُ أُسِّسَتْ عَلَى الذَّلَّةِ لِلْمَحْبُوبِ، كَمَا قِيلَ:

اخْضَعْ وَذَلِّ لِمَنْ تُحِبُّ فَلَيْسَ فِي * حُكْمِ الْهَوَى أَنْفٌ يُشَالُ وَيُعْقَدُ
وَقَالَ آخَرُ:

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْحُبِّ حَتَّى فُيُورَهُمْ * عَلَيْهَا تُرَابُ الذَّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ وَالْجَنَائَةِ.

فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ كَانَ الذُّلُّ لِلَّهِ وَالْخُضُوعُ لَهُ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ، إِذْ يَذِلُّ لَهُ خَوْفًا وَخَشْيَةً، وَمَحَبَّةً وَإِنَابَةً، وَطَاعَةً، وَفَقْرًا وَفَاقَةً. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١) /

(٢٢٤).



القضاء والقدر على أربع مراتب

قال رَحِمَهُ اللهُ: القضاء والقدر أربع مراتب:

الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء. **طريق**

الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٨٨ - ٩٠).



الناس في الرضا بالقضاء على مراتب أربعة

قال رحمه الله: لَمَّا مَاتَ ابْنُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رُؤِيَ فِي الْجَنَازَةِ ضَاحِكًا، فَقِيلَ لَهُ: أَتَضَحُّكَ وَقَدْ مَاتَ ابْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَضَى بِقَضَاءٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِقَضَائِهِ. فَأَنْكَرْتُ طَائِفَةً هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَلَى الْفُضَيْلِ. وَقَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَى يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ. وَأَخْبَرَ أَنَّ «الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنَ تَدْمَعُ»^(١). وَهُوَ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِ الرِّضَا. فَكَيْفَ يُعَدُّ هَذَا مِنْ مَنَاقِبِ الْفُضَيْلِ؟

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتَّسَعَ لِتَكْمِيلِ جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ، مِنَ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ، وَالْبُكَاءِ رَحْمَةً لِلصَّبِيِّ. فَكَانَ لَهُ مَقَامُ الرِّضَا، وَمَقَامُ الرَّحْمَةِ وَرِقَّةُ الْقَلْبِ. وَالْفُضَيْلُ لَمْ يَتَّسِعْ قَلْبُهُ لِمَقَامِ الرِّضَا وَمَقَامِ الرَّحْمَةِ. فَلَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ الْأَمْرَانِ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ.

أَحَدُهَا: مَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَرَحْمَةُ الطِّفْلِ. فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَحْمَةً وَالْقَلْبُ رَاضٍ.

الثَّانِي: مَنْ غَيَّبَهُ الرِّضَا عَنِ الرَّحْمَةِ. فَلَمْ يَتَّسِعْ لِلْأَمْرَيْنِ. بَلْ غَيَّبَهُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ.

الثَّالِثُ: مَنْ غَيَّبَتْهُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ عَنِ الرِّضَا فَلَمْ يَشْهَدْهُ، بَلْ فَنِيَ عَنِ الرِّضَا.

(١) رواه ابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (٣٧)، وصحيح ابن حبان (٣١٥٠).

الرَّابِعُ: مَنْ لَا رِضًا عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةً. وَإِنَّمَا يَكُونُ حُزْنُهُ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنَ الْمَيِّتِ. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ. فَلَا إِحْسَانَ. وَلَا رِضًا عَنِ الرَّحْمَنِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. فَالْأَوَّلُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرِّضَا. وَالثَّانِي دُونَهُ. وَالثَّلَاثُ دُونَ الثَّانِي. وَالرَّابِعُ هُوَ السَّاحِطُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٢٠٢).



الصبر على السراء من أربعة أوجه

قال رحمه الله: الإنسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الأحوال، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهى يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجرى عليه اتفاقاً ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له إلى الممات.

وكل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما.

أما النوع الموافق لغرضه؛ فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وهو أحوج شئ إلى الصبر فيها من وجوه:

أحدها: أن لا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني: أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فانها تنقلب إلى اضدادها فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده وحرم الأكل والشرب والجماع.

الثالث: أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها.

الرابع: أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فإنها توقعه في الحرام فإن احترز كل الاحتراز أوقعته في المكروه ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر». وإنما كان الصبر على السراء شديداً؛ لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها.

وأما النوع الثاني: المخالف للهوى فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد؛ كالطاعات والمعاصي، أو لا ترتبط أوله باختياره؛ كالمصائب، أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في إزالته بعد الدخول فيه.

انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٦٣-٦٥).



الصبر على أربعة أضرب

قال رحمه الله: الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفسياني وكل منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه أربعة أقسام:

الأول: البدني الاختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وإرادة.

الثاني: البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك.

الثالث: النفساني الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا.

الرابع: النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهرا إذا حيل بينها وبينه.

فإذا عرفت هذه الأقسام فهي مختصة بنوع الإنسان دون البهائم ومشاركة للبهائم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس الاضطراريين وقد يكون بعضها أقوى صبرا من الإنسان وإنما يتميز الإنسان عنها بالنوعين الاختياريين وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذي يشارك فيه البهائم لا في النوع الذي يخص الإنسان فيعد صابرا وليس من

الصابرين . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢).



الناس في الصبر والبذل على أربع طبقات

قال رحمه الله: فللنفس قوتان، قوة الصبر والكف، وامساك النفس، وقوة البذل وفعل الخير والاقدام على فعل ما تكمل به، وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها **والناس في ذلك أربع طبقات:**

فأعلاهم من اجتمعت له القوتان، وسفلتهم من عدم القوتين، ومنهم من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله، ومنهم من هو بالعكس في ذلك. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٧٤).**



مراتب الوجود أربعة

قال رحمه الله: ثم تأمل نعمة الله على الانسان بالبيانين البَيَان النطقي والبَيَان الخطي وقد اعتد بهما سُبْحَانَهُ فِي جَمَلَةٍ من اعتد به من نعمه على العبد فَقَالَ فِي أول سُورَةِ انزلت على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ - ٥].

فتأمل كَيْفَ جمع في هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَرَاتِبَ الْخُلُقِ كُلِّهَا وَكَيْفَ تَضَمَّنَتْ مَرَاتِبَ الوجودات الأربعة بأوجز لفظ واوضحه واحسنه.

فذكر **أولاً** عُمُومَ الْخُلُقِ وَهُوَ إعطاء الوجود الْخَارِجِي.

ثم ذكر **ثانياً** خُصُوصَ خلق الانسان لأنه مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ والاية فِيهِ عَظِيمَةٌ وَمِنْ شُهُودِهِ عَمَّا فِيهِ مَحْضُ تعدد النعم وذكر مَادَّةَ خلقه هَا هُنَا من الْعَلَقَةِ وَفِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ يذكر مَا هُوَ سَابِقٌ عَلَيْهَا إِمَّا مَادَّةَ الاصل وَهُوَ التُّرَابُ والطين أَوْ الصلصال الَّذِي كالفخار أَوْ مَادَّةَ الْفَرْعِ وَهُوَ الْمَاءُ المهيّن وذكر فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أول مبادئ تعلق التخليق وَهُوَ الْعَلَقَةُ فَإِنَّهُ كَانَ قَبْلَهَا نُطْفَةٌ فَأُولَ انْتَقَالِهَا إِنْمَّا هُوَ إِلَى الْعَلَقَةِ.

ثم ذكر **ثالثاً** التَّعْلِيمَ بِالْقَلَمِ الَّذِي هُوَ من اعظم نعمه على عباده إِذْ بِهِ تَخْلَدُ الْعُلُومُ وَتَثْبُتِ الْحُقُوقُ وَتَعْلَمُ الْوَصَايَا وَتَحْفَظُ الشَّهَادَاتُ وَيَضْبُطُ حِسَابُ الْمُعَامَلَاتِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَبِهِ تَقْيِدُ اخبار الماضين للباقيين اللاحقين، وَلَوْ لَا الْكِتَابَةُ لَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُ

بعض الأزمنة عَنْ بعض، ودرست السَّنَن، وتخبّطت الأحكام وَلَمْ يعرف الخلف مَذَاهِب السَّلَف، وَكَانَ مُعْظَم الخَلَل الدَّاخِل على النَّاسِ فِي دينهم ودنياهم إِنَّمَا يعترِيهم من النِّسيان الَّذِي يمحُو صور العلم من قُلُوبهم، فَجَعَلَ لَهُم الكِتَاب وعَاءَ حَافِظًا للعلم من الضِّيَاع كالأوعية الَّتِي تحفظ الأمتعة من الذَّهَاب والبطلان.

إلى أَنْ قال رَحِمَهُ اللهُ: والتعليم بالقلم يتسلزم المَرَاتِبُ الثَّلَاثَةُ مرتبة الوجود الذهني، والوجود اللفظي، والوجود الرسمي، فقد دَلَّ التَّعْلِيمُ بالقلم على أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُعْطِي لِهَذِهِ المَرَاتِبِ وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ﴾ على أَنَّهُ يُعْطِي الوجود العَيْنِي فدلَّت هَذِهِ الايات مَعَ اختصارها ووجازتها وفصاحتها على أَنَّ مَرَاتِبَ الوجود بأسرها مُسْنَدَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى خَلَقَا وتعلِيمًا، وَذَكَرَ خَلْقَيْنِ وتعليمين، خَلَقَا عَامًا وَخَلَقَا خَاصًّا، وتعليمًا خَاصًّا وتعليمًا عَامًا.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٨).



الناس في العلم والعزيمة على أربعة أضرب

قال رسول الله ﷺ: وَالْمَقْصُودُ أَنْ الْغَفْلَةَ وَالْكَسَلَ اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْلُ الْحِرْمَانِ سَبِيهُمَا عَدَمُ الْعِلْمِ فَعَادَ النَّقْصُ كُلُّهُ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ وَالْعَزِيمَةِ، وَالْكَمَالُ كُلُّهُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَزِيمَةِ وَالنَّاسُ فِي هَذَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ:

الضرب الأول: من رزق علما واعين على ذَلِكَ بِقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ عَلَى الْعَمَلِ وَهَذَا الضَّرْبُ خُلَاصَةُ الْخَلْقِ وَهُمْ الْمَوْصُوفُونَ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وَقَوْلِهِ: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ [ص: ٤٥] وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فَبِالْحَيَاةِ تَنَالُ الْعَزِيمَةُ وَبِالنُّورِ يَنَالُ الْعِلْمُ، وَائْتَمَّةُ هَذَا الضَّرْبِ هُمْ أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ.

الضرب الثاني: من حرم هذا وهذا وهم الموصوفون بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤] وَبِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] وَهَذَا الصَّنْفُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ يَضِيقُونَ الدِّيارَ وَيَغْلُونَ

الأسعار، وعند أنفسهم أنهم يعلمون ولكن ﴿ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾
 ويعلمون ولكن ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وينطقون ولكن عن الهوى ينطقون،
 ويتكلمون ولكن بالجهل يتكلمون، ويؤمنون ولكن ﴿بِالْحَبِطِ وَالطَّلْعُوتِ﴾، ويعبدون
 ولكن يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ويجادلون ولكن ﴿بِالْبَطْلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، ويتفكرون ويبيتون ولكن ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ يبيتون، ويدعون
 ولكن ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يدعون، ويذكرون ولكن إذا ﴿ذَكَرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ ويصلون
 ولكنهم من المصلين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾
 وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ويحكمون ولكن حكم ﴿الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ويكتبون ولكن
 يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ
 مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَيَقُولُونَ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ فَهَذَا الضَّرْبُ نَاسٌ بِالصُّورَةِ، وشياطين
 بِالْحَقِيقَةِ.

الضَّرْبُ الثَّالِثُ: من فتح له باب العلم وأغلق عنه باب العزم والعمل فهذا في رتبة
 الْجَاهِلِ أَوْ شَرِّ مَنَّهُ، وفي الحديث المرفوع: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه
 الله بعلمه»^(١) ثبت أبو نعيم وغيره، فهذا جهله كان خيراً له وأخف لعذابه من علمه، فما
 زاده العلم إلا وبالا وعذاباً، وهذا لا مطمع في صلاحه فإن التائه عن الطريق يُرَجَى له

«١» أخرجه الطبراني، وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٣٤) ضعيف جداً.

العود إليها إذا أبصرها فإذا عرفها وحاد عنها عمدا فمَتَى ترجى هدايته قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

الضرب الرابع: من رزق حظا من العزيمَة والإرادة، وَلَكِنْ قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الإقتداء بداع من دعاة الله وَرَسُولِهِ ﷺ كَانَ من الَّذِينَ قَالَ الله فيهم: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] رزقنا الله من فضله وَلَا أحرمنَا بِسوءِ أَعْمَالِنَا، إنه غَفُورٌ رَحِيمٌ. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١١٤).



الناس مع الدنيا على أربعة أقسام

قال رسول الله ﷺ: قالوا وقد انقسم الناس بعد رسول الله ﷺ أربعة أقسام:

قسم: لم يريدوا الدنيا ولم تردهم، كالصديق رضي الله عنه ومن سلك سبيله.

وقسم: أرادتهم الدنيا ولم يريدوها، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن سلك سبيله.

وقسم: أرادوا الدنيا وأرادتهم، كخلفاء بني أمية ومن سلك سبيلهم، حاشا عمر بن

عبد العزيز، فإنها أرادته ولم يردها.

وقسم: أرادوها ولم تردهم، كمن أفقر الله منها يده وأسكنها في قلبه وامتنحه بجمعها،

ولا يخفى أن خير الأقسام: القسم الأول، والثاني، إنما فضل؛ لأنه لم يردها فالتحق

بالأول. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٤٧).



الخطرات تدور على أربعة أقسام

قال رحمه الله: الْخَطَرَاتُ بَعْدَ أَقْسَامٍ تَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصُولٍ:

خَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا الْعَبْدُ مَنَافِعَ دُنْيَاهُ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ دُنْيَاهُ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا مَصَالِحَ آخِرَتِهِ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ آخِرَتِهِ.

فَلْيَحْصُرِ الْعَبْدُ خَطَرَاتِهِ وَأَفْكَارَهُ وَهُمُومَهُ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِذَا انْحَصَرَتْ لَهُ فِيهَا أَمَكَنَ اجْتِمَاعُهُ مِنْهَا وَلَمْ يَتْرُكْهُ لِغَيْرِهِ، وَإِذَا تَرَاخَمَتْ عَلَيْهِ الْخَطَرَاتُ لِتَرَاحُمِ مُتَعَلِّقَاتِهَا، قَدَّمَ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمُّ الَّذِي يَخْشَى فَوْتَهُ، وَأَخَّرَ الَّذِي لَيْسَ بِأَهَمٍّ وَلَا يَخَافُ فَوْتَهُ.

بَقِيَ قِسْمَانِ آخَرَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُهِمٌّ لَا يَفُوتُ.

وَالثَّانِي: غَيْرُ مُهِمٍّ وَلَكِنَّهُ يَفُوتُ.

فَفِي كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَدْعُو إِلَى تَقْدِيمِهِ، فَهَذَا يَقَعُ التَّرَدُّدُ وَالْحَيْرَةُ، فَإِنْ قَدَّمَ الْمُهْمَّ؛ خَشِيَ فَوَاتَ مَا دُونَهُ، وَإِنْ قَدَّمَ مَا دُونَهُ فَاتَهُ الْإِشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْمُهْمِّ، وَكَذَلِكَ يَعْزِضُ لَهُ أَمْرَانِ لَا يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَحْصُلُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِتَفْوِيتِ الْآخَرِ.

فَهُوَ مَوْضِعُ اسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ وَالْفَقْهِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمِنْ هَاهُنَا ارْتَفَعَ مَنْ ارْتَفَعَ وَأَنْجَحَ مَنْ أَنْجَحَ، وَخَابَ مَنْ خَابَ، فَأَكْثَرُ مَنْ تَرَى مِمَّنْ يَعْظُمُ عَقْلُهُ وَمَعْرِفَتُهُ، يُؤْثِرُ غَيْرَ الْمُهِمِّ الَّذِي لَا يَفُوتُ عَلَى الْمُهِمِّ الَّذِي يَفُوتُ، وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْتَرٌ.

وَالْتَّحْكِيمُ فِي هَذَا الْبَابِ لِلْقَاعِدَةِ الْكُبْرَى الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَهِيَ إِثَارُ أَكْبَرِ الْمَصْلَحَتَيْنِ وَأَعْلَاهُمَا، وَإِنْ فَاتَتِ الْمَصْلَحَةُ الَّتِي هِيَ دُونَهَا، وَالِدُخُولُ فِي أَدْنَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِدَفْعِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا. الداء والدواء (ص: ١٥٥).



لا بد لصرف اللفظ عن ظاهره من أربعة أمور

قال رحمه الله: من ادعى صرف لفظ عن ظاهره إلى مجازه، لم يتم له ذلك إلا بعد أربع

مقامات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه؛ وإلا كان مفترياً على اللغة.

الثالث: بيان تعيين ذلك المجمل، إن كان له عدة مجازات.

الرابع: الجواز عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

فما لم يقم بهذه الأمور الأربعة؛ كانت دعواه صرف اللفظ عن ظاهره، ولم يعين له

مجملاً لزمه أمران:

أحدهما: بيان الدليل الدال على امتناع إرادة الظاهر.

والثاني: جوابه عن المعارض. بدائع الفوائد (٤ / ٢٠٥).



العاقل لا يغفل عن أربع ساعات

قال رحمه الله: ذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمة آل داود: حق على

العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات:

ساعة يناجي فيها ربه.

وساعة يحاسب فيها نفسه.

وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه.

وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوننا

على تلك الساعات، وإجماماً للقلوب. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٩).**



لا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة

قال رحمه الله: وعلم عباده كيفية هذه الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات

فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران: ٢٠٠].

ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة، فلا يتم الصبر إلا بمصابرة العدو، وهو مقاومته ومنازلته، فإذا صابر عدوه احتاج إلى أمر آخر وهي المراقبة، وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل، فهذه الثغور يدخل منها العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه، فالمراقبة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصادف العدو الثغر خاليا فيدخل منه. **الداء**

والدواء (ص: ٩٧).



الناس في معرفة السبيل على أقسام أربعة

قال رحمه الله: وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَرْبَعُ فِرَقٍ:

الأولى: من استبان لَهُ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ عَلَى التَّفْصِيلِ عِلْمًا وَعَمَلًا؛ وَهَؤُلَاءِ أَعْلَمُ الْخَلْقِ.

الفرقة الثانية: من عَمِيَ عَنْهُ السَّبِيلَانِ مِنْ أَشْبَاهِ الْأَنْعَامِ؛ وَهَؤُلَاءِ بِسَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ أَحْضَرُ وَلَهَا أَسْلُكٌ.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إِلَى معرفة سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ ضِدِّهَا فَهُوَ يَعْرِفُ ضِدِّهَا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، وَأَنْ كُلَّ مَا خَالَفَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ لَمْ يَتَصَوَّرْهُ عَلَى التَّفْصِيلِ، بَلْ إِذَا سَمِعَ شَيْئًا مِمَّا خَالَفَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ صَرَفَ سَمْعَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَشْغَلْ نَفْسَهُ بِفَهْمِهِ وَمَعْرِفَةِ وَجْهِ بُطْلَانِهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَلِمَتْ نَفْسُهُ مِنْ إِرَادَةِ الشَّهَوَاتِ فَلَمْ تَخْطُرْ بِقَلْبِهِ وَلَمْ تَدْعِهِ إِلَيْهَا نَفْسُهُ.

بِخِلَافِ الْفِرْقَةِ الْأُولَى فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَتَمِيلُ إِلَيْهَا نَفُوسُهُمْ وَيَجَاهِدُونَهَا عَلَى تَرْكِهَا اللَّهُ، وَقَدْ كَتَبُوا إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَسْأَلُونَهُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَيُّمَا أَفْضَلُ رَجُلٌ لَمْ تَخْطُرْ لَهُ الشَّهَوَاتُ وَلَمْ تَمُرْ بِبَالِهِ أَوْ رَجُلٌ نَازَعَتْهُ إِلَيْهَا نَفْسُهُ فَتَرَكَهَا اللَّهُ .

فَكَتَبَ عَمْرٌ رضي الله عنه: أَنْ الَّذِي تَشْتَهِي نَفْسُهُ الْمَعَاصِيَ وَيَتْرُكُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الَّذِينَ

أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ، وَهَكَذَا مِنْ عَرَفِ الْبَدْعِ وَالشَّرْكَ

وَالْبَاطِلُ وَطَرَقَهُ فَأَبْغَضَهَا اللَّهُ وَحَذَرَهَا وَحَذَّرَ مِنْهَا وَدَفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَدْعَهَا تَخْذِشْ وَجْهَ إِيْمَانِهِ وَلَا تَوْرَثَهُ شُبُهَةٌ وَلَا شَكَا، بَلْ يَزْدَادُ بِمَعْرِفَتِهَا بَصِيرَةً فِي الْحَقِّ وَمَحَبَّةً لَهُ وَكَرَاهَةً لَهَا وَنَفْرَةً عَنْهَا؛ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَا تَخْطُرُ بِبَالِهِ وَلَا تَمُرُ بِقَلْبِهِ فَإِنَّهُ كَلِمَا مَرَّتْ بِقَلْبِهِ وَتَصَوَّرَتْ لَهُ أَزْدَادَ مَحَبَّةٍ لِلْحَقِّ وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِهِ وَسُرُورًا بِهِ؛ فَيَقْوَى إِيْمَانُهُ بِهِ.

كَمَّا أَنَّ صَاحِبَ خَوَاطِرِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي كَلِمَا مَرَّتْ بِهِ فَرَغِبَ عَنْهَا إِلَى ضِدِّهَا أَزْدَادَ مَحَبَّةٍ لَضِدِّهَا وَرَغْبَةً فِيهِ وَطَلْبًا لَهُ وَحِرْصًا عَلَيْهِ.

فَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِمَحَبَّةِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي وَمِيلَ نَفْسِهِ إِلَيْهَا؛ إِلَّا لِيَسْوَقهَ بِهَا إِلَى مَحَبَّةٍ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا وَخَيْرُ لَهُ وَأَنْفَعُ وَأَدْوَمُ، وَلِيَجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِهَا لَهُ سُبْحَانَهُ فَتَوْرَثَهُ تِلْكَ الْمَجَاهِدَةُ الْوُصُولُ إِلَى الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى.

فَكَلِمَا نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى تِلْكَ الشَّهَوَاتِ وَاشْتَدَّتْ إِرَادَتُهُ لَهَا وَشَوْقُهُ إِلَيْهَا صَرَفَ ذَلِكَ الشَّوْقَ وَالْإِرَادَةَ وَالْمَحَبَّةَ إِلَى النَّوْعِ الْعَالِيِّ الدَّائِمِ؛ فَكَانَ طَلْبُهُ لَهُ أَشَدَّ وَحِرْصُهُ عَلَيْهِ أَتَمَّ بِخِلَافِ النَّفْسِ الْبَارِدَةِ الْخَالِيَةِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ طَالِبَةً لِلْأَعْلَى لَكِنْ بَيْنَ الطَّلِبِينَ فَرَقٌ عَظِيمٌ.

أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ مَشَى إِلَى مَحْبُوبِهِ عَلَى الْجَمْرِ وَالشُّوكِ أَعْظَمَ مِمَّنْ مَشَى إِلَيْهِ رَاكِبًا عَلَى النَّجَائِبِ، فَلَيْسَ مِنْ أَثَرِ مَحْبُوبِهِ مَعَ مُنَازَعَةِ نَفْسِهِ، كَمَنْ أَثَرَهُ مَعَ عَدَمِ مُنَازَعَتِهَا إِلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالشَّهَوَاتِ إِمَّا حِجَابًا لَهُ عَنْهُ أَوْ حَاجِبًا لَهُ يُوصلُهُ إِلَى رِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَكَرَامَتِهِ.

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سَبِيلَ الشَّرِّ والبدع وَالْكَفْرَ مفصلة، وسَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ مجملة، وَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ اعْتَنَى بِمَقَالَاتِ الْأُمَمِ ومَقَالَاتِ أَهْلِ الْبَدْعِ، فَعَرَفَهَا عَلَى التَّفْصِيلِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ كَذَلِكَ بَلْ عَرَفَهُ مَعْرِفَةً مُجْمَلَةً وَإِنْ تَفَصَّلَتْ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَهُمْ رَأَى ذَلِكَ عَيَانًا، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا بِطُرُقِ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْفُسَادِ عَلَى التَّفْصِيلِ سَالِكًا لَهَا إِذَا تَابَ وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى سَبِيلِ الْأَبْرَارِ يَكُونُ عِلْمُهُ بِهَا مُجْمَلًا غَيْرَ عَارِفٍ بِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ مَعْرِفَةً مِنْ أَفْنَى عَمْرِهِ فِي تَصَرُّفِهَا وَسُلُوكِهَا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ سَبِيلَ أَعْدَائِهِ لِتَجْتَنِبَ تَبْغُضَ كَمَا يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ سَبِيلَ أَوْلِيَائِهِ لِتُحِبَّ وَتَسْلُكَ وَفِي هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَسْرَارِ مَا لَا يُعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ مَعْرِفَةِ عُمُومِ رَبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَحُكْمَتِهِ وَكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَعْلُقِهَا بِمَتَعَلِّقَاتِهَا وَاقْتِضَائِهَا لِآثَارِهَا وَمَوْجِبَاتِهَا؛ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَالَةِ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَحُبِّهِ وَبَغْضِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (الفوائد (ص: ١٠٩).



للمختين أربع علامات

قال رَحِمَهُ اللهُ: عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) [الحج: ٣٤ - ٣٥].

فذكر للمختين أربع علامات:

وجل قلوبهم عند ذكره، والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة.

وصبرهم على أقداره.

وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا.

وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت. شفاء العليل في

مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٠٦).



ذروة الإيمان أربع

قال رحمه الله: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ^(١):

الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ.

وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ.

وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٨٢).



الناس في قدرة الله وحكمته على طوائف أربعة

قال رحمه الله: وهذه المسألة كبيرة تحتاج إلى كلام يليق بهذا الموضع. والمقصود أن العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح وإنما يحصل ذلك بالحكمة معها، واسمه سبحانه «الحكيم» يتضمن حكمته في خلقه وأمره في إرادته الدينية الكونية وهو حكيم في كل ما خلقه وأمر به.

والناس في هذا المقام أربع طوائف:

الطائفة الأولى: الجاحدة لقدرته وحكمته فلا يشبتون له تعالى قدرة ولا حكمة، كما يقوله من ينفي كونه تعالى فاعلاً مختاراً وأن صدور العالم عنه بالإيجاب الذاتي لا بالقدرة والاختيار وهؤلاء يشبتون حكمة يسمونها عناية إلهية، وهم من أشد الناس تناقضاً، إذ لا يعقل حكيم لا قدرة له ولا اختيار، وإنما يسمون ما في العالم من المصالح والمنافع عناية إلهية من غير أن يرجع منها إلى الرب تعالى إرادة ولا حكمة وهؤلاء كما أنهم مكذبون لجميع الرسل فإنهم مخالفون لصريح العقل والفطرة، قد نسبوا الرب تعالى إلى أعظم النقص، وجعلوا كل قادر مريد مختار أكمل منه وإن كان من كان، بل سلبهم القدرة والاختيار والفعل عن رب العالمين شر من شرك عباد الأصنام به بكثير، وشر من قول النصارى أنه - تعالى عن قولهم - ثالث ثلاثة وأن له صاحبة وولداً، فإن هؤلاء أثبتوا له قدرة وإرادة واختياراً وحكمة، ووصفوه مع ذلك بما لا يليق به.

وَأَمَّا أُولَئِكَ فَنَفَّوْا رَبُّوبِيَّتَهُ وَقَدَّرَتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَثْبَتُوا لَهُ أَسْمَاءَ لَا حَقَائِقَ لَهَا وَلَا مَعْنَى.

والطائفة الثانية: أقرت بقدرته وعموم مشيئته للكائنات وجحدت حكمته وما له في خلقه من الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه التي يفعل لأجلها ويأمر لأجلها، فحافظت على القدر وجحدت الحكمة، وهؤلاء هم النفاة للتعليل والأسباب والقوى والطبائع في المخلوقات، فعندهم لا يفعل لشيء ولا لأجل شيء، وليس في القرآن عندهم لام تعليل ولا باء تسبب، وكل لام توهم التعليل فهي عندهم لام العاقبة وكل باء تشعر بالتسبب فهي عندهم باء المصاحبة وهؤلاء سلطوا نفاة القدر عليهم بما نفوه من الحكمه والتعليل والأسباب فاستطالوا عليهم بذلك، ووجدوا مقالاً واسعاً بالشناعة فقالوا وشنعوا، ولعمر والله إنهم لمحققون في أكثر ما شنعوا عليهم به، إذ نفى الحكمة والتعليل والأسباب له لوازم في غاية الشناعة، والتزامها بمكابرة ظاهرة لعامة عند عامة العقلاء.

والطائفة الثالثة: أقرت بحكمته أثبتت الأسباب والعلل والغايات في أفعاله وأحكامه، وجحدت كمال قدرته، فنفت قدرته على شطر العالم وهو أشرف ما فيه من أفعال الملائكة والجن والإنس وطاعاتهم، بل عندهم هذه كلها لا تدخل تحت مقدوره تعالى، ولا يوصف بالقدرة عليها ولا هي داخلة تحت مشيئته ولا ملكه، وليس في مقدوره عندهم أن يجعل المؤمن مؤمناً والمصلى مصلياً والموفق موفقاً، بل هو الذي جعل نفسه كذلك.

وعندهم أن أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس كانت بغير مشيئته واختياره فتعالى الله عن قولهم، وهؤلاء سلطوا عليهم نفاة الحكمة والتعليل والأسباب فمزقوهم كل ممزق ووجدوا طريقاً وسيعاً إلى الشناعة عليهم، وأبدوا تناقضهم فقالوا وشنعوا، ورموهم بكل داهية.

أو نفى قدرة الرب تعالى على شطر المملكة له لوازم في غاية الشناعة والقبح والفساد، والتزامها مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء، ونفى التزامها تناقض بين، فصاروا بذلك بين التناقض - وهو أحسن حالهم - وبين التزام تلك العظائم التي تخرج عن الإيمان، كما كان نفاة الحكمة والأسباب والغايات كذلك.

فهدى الله الطائفة الرابعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فأمنوا بالكتاب كله، وأقروا بالحق جميعه، ووافقوا كل واحدة من الطائفتين على ما معها من الحق، وخالفوهم فيما قالوه من الباطل، فأمنوا بخلق الله وأمره بقدرته وشرعه وأنه سبحانه المحمود على خلقه وأمره، وأنه له الحكمة البالغة والنعمة السابغة، وأنه على كل شيء قدير: فلا يخرج عن مقدوره شيء من الموجودات أعيانها وأفعالها وصفاتها، كما لا يخرج عن علمه، فكل ما تعلق به علمه من العالم تعلقت به قدرته ومشيئته.

وآمنوا مع ذلك بأن له الحجة على خلقه، وأنه لا حجة لأحد عليه بل لله الحجة البالغة وأنه لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، بل كان تعذيبهم منه عدلاً منه وحكمة لا بمحض المشيئة المجردة عن السبب والحكمة كما يقوله الجبرية،

ولا يجعلون القدر حجة لأنفسهم ولا لغيرهم، بل يؤمنون به ولا يحتجون به ويعلمون أن الله سبحانه أنعم عليهم بالطاعات وأنها من نعمته عليهم وفضله وإحسانه، وأن المعاصي من نفوسهم الظالمة الجاهلة، وأنهم هم جناتها وهم الذين اجتروحوها، ولا يحملونها على القضاء والقدر مع علمهم بشمول قضائه وقدره لما في العالم من خير وشر وطاعة وعصيان وكفر وإيمان، وأن مشيئة الله سبحانه محيطه بذلك كإحاطة علمه به، وأنه لو شاء ألا يعصى لما عصى وأنه سبحانه أعز وأجل من أن يعصى قسراً، والعباد أقل من ذلك وأهون، وأنه ما شاء الله كان وكل كائن فهو بمشيئته، وما لم يشأ لم يكن، وما لم يكن فلعدم مشيئته، فله الخلق والأمر وله الملك والحمد وله القدرة التامة والحكمة الشاملة البالغة.

فهذه الطائفة هم أهل البصر التام، والأولى لهم العمى المطلق، والثانية والثالثة كل طائفة منهما لهم عين عمياء، ومع هذا فسرى العمى من العين العمياء إلى العين الصحيحة فأعمأها ولا يستكثر تكرار هذا الكلمات من يعلم شدة الحاجة إليها وضرورة النفوس إليها، فلو تكررت فالحاجة إليها في محل الضرورة. والله المستعان. طريق الهجرتين

وباب السعادتين (ص: ١١٠).



للعبد أربع مقامات في المصائب التي لا صنع له فيها

قال رحمه الله: المصائب التي لا صنع للعبد فيها كموت من يعز عليه وسرقة ماله ومرضه ونحو ذلك ... للعبد فيه أربع مقامات:

أحدها: مقام العجز وهو مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلا ودينا ومروءة وهو أعظم المصيبتين.

المقام الثاني: مقام الصبر إما لله وإما للمروءة الإنسانية.

المقام الثالث: مقام الرضا وهو أعلى من مقام الصبر وفي وجوبه نزاع والسير متفق على وجوبه.

المقام الرابع: مقام الشكر وهو أعلى من مقام الرضا فإنه يشهد البلية نعمة فيشكر

المبتلى عليها. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٦٦).



اختص الله آدم عليه السلام على غيره بأربع أشياء

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

فذكروا لآدم أربع خصائص اختص بها عن غيره، ولو كانت الروح التي فيه إنما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده فإن الروح حصلت فيهم من نفخة الملك وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فهو الذي سواه بِيَدِهِ وهو الذي نفخ فيه من روحه. الروح (ص: ١٥٥).



«١» رواه البخاري برقم (٤٤٧٦) ومسلم برقم (٣٢٢) عن أنس رضي الله عنه.

أربع مقامات في إقامة الحجة

قال رحمه الله: وَهَٰ هُنَا أَرْبَعُ مَقَامَاتٍ:

أحدها: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اسْتَخْرَجَ صُورَهُمْ وَأَمْثَالَهُمْ، فَمَيَّزَ شَقِيهِمْ وَسَعِيدَهُمْ، وَمَعَا فَاهِمٍ مِنْ مَبْتَلَاهُمْ.

الثاني: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ حِينَئِذٍ، وَأَشْهَدَهُمْ بِرَبُوبِيَّتِهِ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَهُ.

الثالث: أَنَّ هَٰذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

[الأعراف: ١٧٢].

الرابع: أَنَّهُ أَقَرَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا بَعْدَ إِخْرَاجِهَا بِمَكَانٍ وَفَرَّغَ مِنْ خَلْقِهَا، وَإِنَّمَا يَتَجَدَّدُ كُلُّ وَقْتٍ، إِرْسَالُ جَمَلَةٍ مِنْهَا بَعْدَ جَمَلَةٍ إِلَى أَبْدَانِهَا، فَأَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ؛ فَالْآثَارُ مُتَظَاهِرَةٌ بِهِ مَرْفُوعَةٌ وَمَوْقُوفَةٌ.

فَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّانِي، فَإِنَّمَا أَخَذَ مِنْ أَخْذِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْآيَةِ وَظَنُوا أَنَّهُ تَفْسِيرُهَا وَهَٰذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ. (الروح: ص: ١٦٣).



الدِّينُ كُلُّهُ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدَ

قال رَحِمَهُ اللهُ: الدِّينُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدَ:

حُبٌّ، وَبُغْضٌ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا، فَعْلٌ، وَتَرْكٌ، فَمَنْ كَانَ حُبُّهُ وَبُغْضُهُ وَفَعْلُهُ وَتَرْكُهُ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، بِحَيْثُ إِذَا أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِذَا أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِلَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ فَعَلَ لِلَّهِ، وَإِذَا تَرَكَ تَرَكَ لِلَّهِ، وَمَا نَقَصَ مِنْ أَصْنَافِهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ؛ نَقَصَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَدِينِهِ بِحَسْبِهِ. **الروح**

(ص: ٢٥٣).



السؤال على أربع مراتب

قال رحمه الله: السؤال على أربع مراتب في هذا الباب:

الأول: السؤال بالهمزة منفردة نحو: أعندك شيء مما يحتاج إليه فتقول نعم.

فينتقل إلى **المرتبة الثانية:** فتقول ما هو فتقول متاع.

فينتقل إلى **المرتبة الثالثة:** بأي فتقول أي متاع فتقول ثياب.

فتنتقل إلى **المرتبة الرابعة:** فتقول: أكتان هي أم قطن أم صوف، وهذه أخص المراتب

وأشدها طلبا التعيين فلا يحسن الجواب إلا بالتعيين، وأشدها إبهاما؛ السؤال الأول؛ لأنه

لم يدع فيه أن عنده شيئا، ثم الثاني أقل إبهاما منه؛ لأن فيه إدعاء شيء عنده وطلب ماهيته،

ثم الثالث أقل إبهاما وهو السؤال ب أي؛ لأن فيه طلب تعيين ما عرف حقيقته، ثم السؤال

الرابع بأم أخص من ذلك كله؛ لأن فيه طلب تعيين فرد من أفراد قد عرفها وميزها. **بدائع**

الفوائد (١/ ٢٠٣).



أربع فوائد في زيادة « لا » بين المعطوف والمعطوف عليه

قال رحمه الله: وأما المسألة الخامسة عشرة: وهي ما فائدة زيادة « لا » بين المعطوف والمعطوف عليه ففي ذلك أربع فوائد:

أحدها: أن ذكرها تأكيد للنفي الذي تضمنه غير فلولا ما فيها من معنى النفي لما عطف عليها بـ « لا » مع الواو، فهو في قوة « لا » المغضوب عليهم ولا الضالين، أو غير المغضوب عليهم وغير الضالين.

الفائدة الثانية: أن المراد المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده، فلو لم يذكر « لا » وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، أوهم أن المراد ما غير المجموع المركب من النوعين لا ما غير كل نوع بمفرده، فإذا قيل ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، كان صريحا في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء، وبيان ذلك أنك إذا قلت: ما قام زيد وعمرو فإنما نفيت القيام عنهما، ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده.

الفائدة الثالثة: رفع توهم أن الضالين وصف للمغضوب عليهم وأنهما صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال، ودخل العطف بينهما كما يدخل في عطف الصفات بعضها على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣] إلى آخرها، فإن هذه صفات المؤمنين.

ومثل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾ ونظائره، فلما دخلت « لا » علم أنهما صنفان متغايران مقصودان بالذكر، وكانت « لا » أولى بهذا المعنى من غير لوجوه: أحدها: أنها أقل حروفاً، الثاني: التفادي من تكرار اللفظ، الثالث: الثقل الحاصل بالنطق بـ غير مرتين من غير فصل إلا بكلمة مفردة ولا ريب أنه ثقل على اللسان.

الرابع: أن « لا » إنما يعطف بها بعد النفي فالإتيان بها مؤذن بنفي الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم كما نفى عنهم الضلال وغير وإن أفهمت هذا فلا أدخل في النفي منها وقد عرف بهذا جواب المسألة السادسة عشرة وهي أن « لا » إنما يعطف بها في النفي. بدائع الفوائد (٢ / ٣٤).



الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد

قال رحمه الله: الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد:

إحداها: الإشعار بذكر الله تعالى؛ لأن السلام المعروف من أسمائه كما تقدم تقريره.

الفائدة الثانية: إشعارها بطلب معنى السلامة منه للمسلم عليه؛ لأنك متى ذكرت اسما من أسمائه فقد تعرضت به وتوسلت به إلى تحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم.

الفائدة الثالثة: إن الألف واللام يلحقها معنى العموم في مصحوبها والشمول فيه في بعض المواضع.

الفائدة الرابعة: أنها تقوم مقام الإشارة إلى المعين كما تقول: ناولني الكتاب واسقني الماء وأعطني الثوب لما هو حاضر بين يديك فإنك تستغني بها عن قولك هذا فهي مؤدية معنى الإشارة.

وإذا عرفت هذه الفوائد الأربع، فقول الراد عليك السلام بالتعريف متضمن للدلالة على أن مقصوده من الرد مثل ما ابتدئ به وهو بعينه، فكأنه قال ذلك السلام الذي طلبته لي مردود عليك وواقع عليك، فلو أتى بالرد منكرا؛ لم يكن فيه إشعار بذلك؛ لأن المعروف وإن تعدد ذكره واتحد لفظه؛ فهو شيء واحد بخلاف المنكر. **بدائع الفوائد (٢/ ١٥٥).**



لا بد للمتكلم في مقام التفاضل من أربعة أمور

قال رحمه الله: فعلى المتكلم في هذا الباب -المفاضلة-:

أولاً: أن يعرف أسباب الفضل، ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها.

ثانياً: ثم نسبتها إلى من قامت به.

ثالثاً: كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها.

رابعاً: قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالات لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا.

فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى والغرض.

وهنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسيته وتعلقه بمن يفضلوه ولو على بعد ثم يأخذ في تقريظهم وتفضيلهم وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل والمبالغة فيه واستقصاء محاسن المفضل والإعلاء عما سواها ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس. بدائع الفوائد (٣/ ١٦٣).



للسهادة أربع مراتب

قال رحمه الله: الشَّهَادَةُ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبْرَهُ، وَقَوْلَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ، فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ، وَمَعْرِفَةٌ، وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَثُبُوتِهِ.

وَتَانِيهَا: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَنُطْقُهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ بِهِ غَيْرُهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا، وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا.

وَتَالِثُهَا: أَنْ يُعْلَمْ غَيْرُهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ، وَيُخْبِرَهُ بِهِ، وَيُبَيِّنَهُ لَهُ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ.

فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: عِلْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِحَلْقِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمْ وَالْإِزَامَهُمْ بِهِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٨).



التصوير والتخليق على أربع مراتب

قال رحمه الله: ولكن هنا تصويران: أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل، وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة ينشئ فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئاً بعد شيء، لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة، فههنا أربع مراتب:

أحدها: تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج.

الثانية: مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه.

الثالثة: تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد.

الرابعة: تمام التصوير الذي ليس بعد إلا نفخ الروح.

فالمرتبة الأولى علمية، والثلاث الأخر خارجية عينية، وهذا التصوير بعد التصوير، نظير التقدير بعد التقدير، فالرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديراً عاماً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهنا كتب السعادة والشقاوة والأعمال والأرزاق والآجال. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٤٨).



من عارض الشرع بالعقل فإنه ينتهي أمره إلى أحد أمور أربعة

قال رحمه الله: غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ مَنْ ادَّعَى مُعَارَضَةَ الْعَقْلِ لِلْوَحْيِ أَحَدُ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا:

إِمَّا تَكْذِيبُهَا وَجَحْدُهَا.

وَأِمَّا اعْتِقَادُ أَنَّ الرُّسُلَ خَاطَبُوا الْخَلْقَ خِطَابًا جُمْهُورِيًّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِنْهُمْ التَّخِيلَ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ.

وَأِمَّا اعْتِقَادُ أَنَّ الْمُرَادَ تَأْوِيلُهَا وَصَرْفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا بِالْمَجَازَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ.

وَأِمَّا الْإِعْرَاضُ عَنْهَا وَعَنْ فَهْمِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا أُريدَ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَقَامَاتٍ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مِنْهَا طَوَائِفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ. مختصر الصواعق المرسلة على

الجهمية والمعطلة (ص: ١٣٠).



الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق

قال رحمه الله: فَإِذَا قِيلَ: الْمَسْمُوعُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قِيلَ إِنَّ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْمُبَلِّغِ فِيهِ تَفْصِيلٌ، فَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الصَّوْتِ الَّذِي رُويَ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُؤَدَّى بِالصَّوْتِ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ أَرْبَعُ فِرَقٍ:

فِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مَخْلُوقٍ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، وَهُمْ الْمُعْتَزِلَةُ.

وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ قَدِيمٍ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُمْ السَّالِمِيَّةُ وَالْإِقْتِرَانِيَّةُ.

وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ قَدِيمٍ حَادِثٍ فِي ذَاتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهُمْ الْكَرَامِيَّةُ.

وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا بِصَوْتِهِ إِذَا شَاءَ.

وَالَّذِينَ قَالُوا: لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ فِرْقَتَانِ: أَصْحَابُ الْفَيْضِ، وَالْقَائِلُونَ إِنَّ الْكَلَامَ مَعْنَى قَائِمٌ بِالنَّفْسِ. مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٢٨).



تضمنت سورة الفلق الاستعاذة من أمور أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: فإن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة:

أحدها: شر المخلوقات التي لها شر عموماً.

الثاني: شر الغاسق إذا وقب.

الثالث: شر النفاثات في العقد.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد.

فتكلم على هذه الشرور الأربعة، ومواقعها، واتصالها بالعبد، والتحرز منها، قبل

وقوعها، وبماذا تدفع، بعد وقوعها. بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٥).



أركان التابعين أربعة

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فهؤلاء الأئمة الأربعة أركان التابعين، وهم:

الحسن «البصري».

وسعيد بن المسيب.

وعطاء بن أبي رباح.

وإبراهيم النخعي.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٢٧٤).



مراتب الكمال أربعة

قال رحمه الله: فأما مَرَاتِبُ الْكَمَالِ فأربع:

النُّبُوَّةُ، والصَّدِيقِيَّةُ، وَالشَّهَادَةُ، وَالْوَلَايَةُ، وقد ذكرها الله سُبحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:

٦٩ - ٧٠] وذكر تعالى: هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ فَذَكَرَ تَعَالَى: الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ نَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِكِتَابِهِ وَوَحْيِهِ ثُمَّ ذَكَرَ مَرَاتِبَ الْخَلَائِقِ شَقِيهِمْ

وَسَعِيدِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ

أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٨ - ١٩].

وَذَكَرَ الْمُتَنَافِقِينَ قَبْلَ ذَلِكَ فَاسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَقْسَامَ الْعِبَادِ شَقِيهِمْ، وَسَعِيدِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: الرِّسَالَةَ، وَالصَّدِيقِيَّةَ، وَالشَّهَادَةَ، وَالْوَلَايَةَ.

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ، وَيَلِيهَا الصَّدِيقِيَّةُ، فَالصَّدِيقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَدَرَجَتُهُمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَإِنْ جَرَى قَلَمُ الْعَالَمِ بِالصَّدِيقِيَّةِ وَسَالَ مَدَادُهُ بِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ الَّذِي لَمْ يَحْلُقْهُ فِي رُتْبَةِ الصَّدِيقِيَّةِ، وَإِنْ سَالَ دَمُ الشَّهِيدِ

بالصديقية وقطر عليّها كَانَ أَفْضَلُ مِنْ مَدَادِ الْعَالَمِ الَّذِي قَصَرَ عَنْهَا، فَافْضَلُهُمَا صَدِيقُهُمَا
فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الصَّدِيقِيَّةِ اسْتَوَيَا فِي الْمُرْتَبَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالصَّدِيقِيَّةُ هِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عِلْمًا وَتَصَدِيقًا وَقِيَامًا، فَهِيَ
رَاجِعَةٌ إِلَى نَفْسِ الْعِلْمِ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَأَكْمَلَ تَصَدِيقًا لَهُ؛ كَانَ
أَتَمَّ صَدِيقِيَّةً، فَالصَّدِيقِيَّةُ شَجَرَةٌ أَصُولُهَا الْعِلْمُ وَفُرُوعُهَا التَّصَدِيقُ وَثَمَرَتُهَا الْعَمَلُ فَهَذِهِ
كَلِمَاتُ جَامِعَةٍ فِي مَسْئَلَةِ الْعَالَمِ وَالشَّهِيدِ وَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١)



أربعة أوجه لاختصاص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة

قال رحمه الله: فإن قيل فنعم الله دائما مستمرة على العبد فما الذي اقتضى تخصيص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة، وقد تكون المستدامة أعظم، قيل الجواب من وجوه: **أحدها:** أن النعمة المتجددة تذكر بالمستدامة، والإنسان موكل بالأدنى.

الثاني: أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجددة، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى الله السجود شكرا له.

الثالث: أن المتجددة لها وقع في النفوس والقلوب بها أعلق؛ ولهذا يهنى بها ويعزى بفقدها.

الرابع: أن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها، وكثيرا ما يجر ذلك إلى الأشر والبطر، والسجود ذل لله وعبودية وخضوع، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديرا بدوام تلك النعمة، وإذا تلقاها بالفرح الذي لا يحبه الله والأشر والبطر كما يفعل الجهال عندما يحدث الله لهم من النعم؛ كانت سريعة الزوال وشيكة الانتقال، وانقلبت نقمة وعادت استدراجا.

ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئا من القوت ليعرفه نعمته عليه.

وقال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن فقلت له أذكر المطروحين على الطريق أذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم، قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعتة يقول لنفسه: أذكر المطروحين في الطريق أذكر من لا مأوى له ولا له من يخدمه. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٣٦).**



الناس في العلم مع الحلم على أربعة أقسام

قال رحمه الله: فَلَيْسَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى الْحِلْمِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ فَإِنَّهَا كِسْوَةُ عِلْمِهِ وَجَمَالِهِ، وَإِذَا فَقَدَهَا كَانَ عِلْمُهُ كَالْبَدَنِ الْعَارِي مِنَ اللَّبَاسِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا قُرْنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ عِلْمٍ إِلَى حِلْمٍ.

وَالنَّاسُ هَهُنَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ، فَخِيَارُهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحِلْمَ وَالْعِلْمَ، وَشَرَارُهُمْ مَنْ عَدِمَهُمَا،

الثَّالِثُ: مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا بِلَا حِلْمٍ، **الرَّابِعُ:** عَكْسُهُ فَالْحِلْمُ زِينَةُ الْعِلْمِ وَبَهَاؤُهُ وَجَمَالُهُ.

وَصِدُّ الطَّيِّشِ وَالْعَجَلَةِ وَالْحِدَّةِ وَالتَّسْرُّعِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ؛ فَالْحَلِيمُ لَا يَسْتَفِزُّهُ الْبَدَوَاتُ، وَلَا يَسْتَخِفُّهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يُقْلِقُهُ أَهْلُ الطَّيِّشِ وَالْخِفَّةِ وَالْجَهْلِ. **إعلام الموقعين عن رب**

العالمين (٤/ ١٥٣).



الأسباب الجالبة للتأويل لأربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: الأسباب الجالبة للتأويل أربعة: **إثنان** من المتكلم، و**إثنان** من السامع.

فالسببان اللذان من المتكلم: إما نقصان بيانه، وإما سوء قصده.

واللذان من السامع: إما سوء فهمه، وإما سوء قصده.

فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة؛ انتفى التأويل الباطل، وإذا وجدت أو بعضها وقع التأويل فنقول وبالله التوفيق.

لما كان المقصود من التخاطب التقاء قصد المتكلم وفهم المخاطب على محز واحد، كان أصح الإفهام وأسعد الناس بالخطاب ما التقى فيه فهم السامع ومراد المتكلم، وهذا هو حقيقة الفقه الذي أثنى الله ورسوله ﷺ به على أهله، وذم من فقدته فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [٧] [المنافقون ٧] وقال: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [٧٨] [النساء ٧٨] وقال في الشناء على أهله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [٩٨] [الأنعام ٩٨] وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي

الدِّينِ»^(١). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٢/ ٥٠٠).



^(١) رواه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٠) عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لتكرار السؤال أربع من فوائد

قال رحمه الله: فَوَائِدُ تَكْرِيرِ السُّؤَالِ:

وَكَانَ أَتْيُوبُ إِذَا سَأَلَهُ السَّائِلُ قَالَ لَهُ: أَعِدْ، فَإِنْ أَعَادَ السُّؤَالَ كَمَا سَأَلَهُ عَنْهُ أَوَّلًا أَجَابَهُ، وَإِلَّا لَمْ يُجِبْهُ، وَهَذَا مِنْ فَهْمِهِ وَفِطْنَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَفِي ذَلِكَ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ:

مِنْهَا: أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تَزْدَادُ وَضُوحًا وَبَيَانًا بِتَفْهِيمِ السُّؤَالِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّائِلَ لَعَلَّهُ أَهْمَلَ فِيهَا أَمْرًا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْحُكْمُ فَإِذَا أَعَادَهَا رُبَّمَا بَيَّنَّهُ لَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَسْئُولَ قَدْ يَكُونُ ذَاهِلًا عَنِ السُّؤَالِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَحْضُرُ ذَهْنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ رُبَّمَا بَانَ لَهُ تَعَنُّتُ السَّائِلِ وَأَنَّهُ وَضَعَ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِذَا غَيَّرَ السُّؤَالَ وَزَادَ فِيهِ

وَنَقَصَ فَرُبَّمَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَنَّهَا مِنْ الْأَغْلُوطَاتِ أَوْ غَيْرِ الْوَاقِعَاتِ

الَّتِي لَا يَجِبُ الْجَوَابُ عَنْهَا؛ فَإِنَّ الْجَوَابَ بِالظَّنِّ إِنَّمَا يَجُوزُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فَإِذَا وَقَعَتْ

الْمَسْأَلَةُ صَارَتْ حَالُ ضَرُورَةٍ فَيَكُونُ التَّوْفِيقُ إِلَى الصَّوَابِ أَقْرَبَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. إعلام الموقعين

عن رب العالمين (٢/ ١٢٩).



أربع حكم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

قال رسول الله ﷺ: وَكَانَ لِلَّهِ فِي جَعْلِ الْقِبْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ تَحْوِيلِهَا إِلَى الْكَعْبَةِ حِكْمٌ عَظِيمَةٌ، وَمِحْنَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ.

فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَقَالُوا: ﴿**أَمَّا يَهْء كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧] وَهُمْ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، وَلَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا: كَمَا رَجَعَ إِلَى قِبْلَتِنَا، يُوشِكُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى دِينِنَا، وَمَا رَجَعَ إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ الْحَقُّ.

وَأَمَّا الْيَهُودُ فَقَالُوا: خَالَفَ قِبْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا لَكَانَ يُصَلِّي إِلَى قِبْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ. **وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ** فَقَالُوا: مَا يَذَرِي مُحَمَّدٌ أَيْنَ يَتَوَجَّهْ، إِنْ كَانَتْ الْأُولَى حَقًّا فَقَدْ تَرَكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ الثَّانِيَةُ هِيَ الْحَقُّ فَقَدْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ، وَكَثُرَتْ أَقَاوِيلُ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ،

وَكَانَتْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾ [البقرة: ١٤٣] [البقرة: ١٤٣] وَكَانَتْ مِحْنَةً مِنَ اللَّهِ امْتَحَنَ بِهَا عِبَادَهُ لِيَرَى مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْهُمْ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٠).



خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَطْوَارٍ

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] فهذا استدلال قاطع على أن

الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول وأنه لا عذر لأحد في الكفر به البتة.

فذكر تعالى أربعة أمور ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم والرابع منتظر موعود به وعد

الحق:

الأول: كونهم كانوا أمواتا لا أرواح فيهم بل نطفًا وعلقًا ومضغة مواتا لا حياة فيها.

الثاني: أنه تعالى أحياهم بعد هذه الإماتة.

الثالث: أنه تعالى يميتهم بعد هذه الحياة.

الرابع: أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه.

فما بال العاقل يشهد الثلاثة الأطوار الأول ويكذب بالرابع، وهل الرابع إلا طور من

أطوار التخليق، فالذي أحياكم بعد أن كنتم مواتا ثم أماتكم بعد أن أحياكم، ما الذي

يعجزه عن إحيائكم بعد ما يميتكم. بدائع الفوائد (٤ / ١٣٧).



أربعة أشياء تهدم البدن

قال رحمه الله: وَقَالَ الْحَارِثُ: أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ تَهْدِمُ الْبَدْنَ:

الْجَمَاعُ عَلَى الْبِطْنَةِ.

وَدُخُولُ الْحَمَامِ عَلَى الْإِمْتِلَاءِ.

وَأَكْلُ الْقَدِيدِ.

وَجَمَاعُ الْعَجُوزِ.

الطب النبوي (ص: ٣١١).

وقال رحمه الله: أَرْبَعَةُ تَهْدِمُ الْبَدْنَ: الْهَمُّ، وَالْحُزْنُ، وَالْجُوعُ، وَالسَّهَرُ. الطب النبوي (ص: ٣١٤).



وأربعة تفرح

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُفْرِحُ:

النَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ.

وَالْيَ الْمَاءِ الْجَارِي.

وَالْمَحْبُوبِ.

وَالثَّمَارِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تقوي الجسم

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْجِسْمَ:

لُبْسُ الثَّوْبِ النَّاعِمِ.

وَدُخُولُ الْحَمَامِ الْمَعْتَدِلِ.

وَأَكْلُ الطَّعَامِ الْحَلَوِ الدَّسَمِ.

وَشَمُّ الرِّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تيبس الوجه

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُيَسُّ الْوَجْهَ، وَتُذْهِبُ مَاءَهُ وَبَهْجَتَهُ وَطَلَاوَتَهُ:

الْكَذِبُ.

وَالْوَقَاحَةُ.

وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ.

وَكَثْرَةُ الْفُجُورِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي مَاءِ الْوَجْهِ وَبَهْجَتِهِ:

الْمُرُوءَةُ.

وَالْوَفَاءُ.

وَالْكَرَمُ.

وَالْتَّقْوَى.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تجلب البغضاء والمقت

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَجْلِبُ الْبَغْضَاءَ وَالْمَقْتَ:

الْكِبْرُ.

وَالْحَسَدُ.

وَالكَذِبُ.

وَالنَّمِيمَةُ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تجلب الرزق

قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَجْلِبُ الرِّزْقُ:

قِيَامُ اللَّيْلِ.

وَكَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ.

وَتَعَاهُدُ الصَّدَقَةِ.

وَالذِّكْرُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ.

الطَّبِيبُ النَّبَوِيُّ (ص: ٣١٤).



أربعة تمنع الرزق

وقال **رَحِمَهُ اللهُ** : وَأَرْبَعَةٌ تَمْنَعُ الرِّزْقَ :

نَوْمُ الصُّبْحَةِ .

وَقَلَّةُ الصَّلَاةِ .

وَالْكَسَلُ .

وَالْخِيَانَةُ .

الطب النبوي (ص : ٣١٤) .



أربعة تضر بالفهم والذهن

قال رسول الله ﷺ: وَأَرْبَعَةٌ تَضُرُّ بِالْفَهْمِ وَالذِّهْنِ:

إِدْمَانُ أَكْلِ الْحَامِضِ وَالْفَوَاحِ.

وَالنَّوْمُ عَلَى الْقَفَا.

وَالْهَمُّ.

وَالْغَمُّ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تزيد في الفهم

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْفَهْمِ:

فَرَاغُ الْقَلْبِ.

وَقِلَّةُ التَّمَلُّي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

وَحُسْنُ تَدْبِيرِ الْغِذَاءِ بِأَلْأَشْيَاءِ الْحُلُوةِ وَالْدَّسِيمَةِ.

وَإِخْرَاجُ الْفَضَلَاتِ الْمُثْقَلَةِ لِلْبَدَنِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٤).



أربعة أشياء تمرض الجسم

قال **رحمته الله**: وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ تُمَرِّضُ الْجِسْمَ:

الكَلَامُ الْكَثِيرُ، وَالنَّوْمُ الْكَثِيرُ، وَالْأَكْلُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمَاعُ الْكَثِيرُ.

فَالْكَلَامُ الْكَثِيرُ: يَقْلِلُ مَخَّ الدِّمَاغِ وَيُضْعِفُهُ، وَيَعْجَلُ الشَّيْبَ.

وَالنَّوْمُ الْكَثِيرُ: يُصْفِّرُ الْوَجْهَ، وَيُعْمِي الْقَلْبَ، وَيُهَيِّجُ الْعَيْنَ، وَيُكْسِلُ عَنِ الْعَمَلِ، وَيُوَلِّدُ الرُّطُوبَاتِ فِي الْبَدَنِ.

وَالْأَكْلُ الْكَثِيرُ: يُفْسِدُ فَمَ الْمَعِدَةِ، وَيُضْعِفُ الْجِسْمَ، وَيُوَلِّدُ الرِّيَّاحَ الْغَلِيظَةَ، وَالْأَدْوَاءَ الْعَسِرَةَ.

وَالْجَمَاعُ الْكَثِيرُ: يَهْدُّ الْبَدَنَ، وَيُضْعِفُ الْقُوَى، وَيَجْفِفُ رُطُوبَاتِ الْبَدَنِ، وَيُرْخِي الْعَصَبَ، وَيُورِثُ السَّدَدَ، وَيَعْمُ ضَرَرُهُ جَمِيعَ الْبَدَنِ، وَيَخْصُ الدِّمَاغَ لِكَثْرَةِ مَا يَتَحَلَّلُ بِهِ مِنَ الرُّوحِ النَّفْسَانِيِّ، وَإِضْعَافُهُ أَكْثَرُ مِنْ إِضْعَافِ جَمِيعِ الْمُسْتَفْرِغَاتِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنْ جَوْهَرِ الرُّوحِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَأَنْفَعُ مَا يَكُونُ إِذَا صَادَفَ شَهْوَةً صَادِقَةً مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ حَدِيثَةِ السِّنِّ حَلَالًا مَعَ سِنِّ الشُّبُوبَةِ، وَحَرَارَةِ الْمِزَاجِ وَرُطُوبَتِهِ، وَبَعْدِ الْعَهْدِ بِهِ وَخَلَاءِ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَلَمْ يُفْرِطْ فِيهِ، وَلَمْ يُقَارِنْهُ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مَعَهُ مِنْ امْتِلَاءٍ مُفْرِطٍ، أَوْ خَوَاءٍ، أَوْ اسْتِفْرَاحٍ، أَوْ رِيَاضَةٍ تَامَةٍ، أَوْ حَرٍّ مُفْرِطٍ، أَوْ بَرْدٍ مُفْرِطٍ، فَإِذَا رَاعَى فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَشْرَةَ، انْتَفَعَ بِهِ جَدًّا،

وَأَيُّهَا فَقَدْ؛ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الضَّرَرِ بِحَسَبِهِ، وَإِنْ فُقِدَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا، فَهُوَ الْهَلَاكُ

المعجل. الطب النبوي (ص: ٣١٣).



أربعة تقوي البدن

قال رحمه الله: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْبَدَنَ:

أَكْلُ اللَّحْمِ.

وَشَمُّ الطِّيبِ.

وَكَثْرَةُ الْغُسْلِ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ.

وَلِبْسُ الْكَتَّانِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).



أربعة توهن البدن

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : وَأَرْبَعَةٌ تُؤْهِنُ الْبَدَنَ :

كَثْرَةُ الْجِمَاعِ .

وَكَثْرَةُ الْهَمِّ .

وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ عَلَى الرَّيْقِ .

وَكَثْرَةُ أَكْلِ الْحَامِضِ .

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).



أربعة توهن البصر

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُوهِنُ الْبَصَرَ:

النَّظَرُ إِلَى الْقَدَرِ.

وَالِإِلَى الْمَصْلُوبِ.

وَالِإِلَى فَرْجِ الْمَرْأَةِ.

وَالْقُعُودُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).



أربعة تقوي البصر

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : وَأَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْبَصَرَ :

الْجُلُوسُ حِيَالِ الْكَعْبَةِ .

وَالْكُحْلُ عِنْدَ النَّوْمِ .

وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ .

وَتَنْظِيفُ الْمَجْلِسِ .

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥) .



أربعة تظلم البصر

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تُظْلِمُ الْبَصَرَ:

الْمَشْيُ حَافِيًا.

وَالْتَّصَبُّحُ وَالتَّمَسُّي بِوَجْهِ الْبَغِيزِ وَالثَّقِيلِ، وَالْعُدُوّ.

وَكَثْرَةُ الْبُكَاءِ.

وَكَثْرَةُ النَّظَرِ فِي الْخَطِّ الدَّقِيقِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).



أربعة تزيد في الجماع

قال رحمه الله: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ:

أَكْلُ الْعَصَافِيرِ.

وَالِإِطْرِيفِلِ.

وَالْفُسْتُقُ.

وَالْخَرْوبِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).



أربعة تزيد في العقل

قال رحمه الله: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ:

تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْكَلَامِ.

وَالسَّوَأُ.

وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

وَمُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).



للمرض أربعة أحوال

قال رحمه الله: وَلَمَّا كَانَ لِلْمَرَضِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ: **ابْتِدَاءٌ، وَصُعُودٌ، وَانْتِهَاءٌ، وَانْحِطَاطٌ،**
 تَعَيَّنَ عَلَى الطَّبِيبِ مُرَاعَاةُ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمَرَضِ، بِمَا يُنَاسِبُهَا وَيَلِيقُ بِهَا، وَيَسْتَعْمَلُ
 فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٣٣).



المرض يدور على أربعة أشياء

قال رحمه الله: والمرض يدور على أربعة أشياء:

فساد، وضعف، ونقصان، وظلمة، ومنه مرض الرجل في الأمر إذا ضعف فيه ولم يبالغ وعين مريضة النظر أي فاترة ضعيفة وريح مريضة إذا هب هبوبها كما قال: راحت لأربعك الرياح مريضة.

أي لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٩٩).



جعل سبحانه في المعدة أربع قوى

قال رَحِمَهُ اللهُ: جعل سبحانه في المعدة أربع قوى:

قوة جاذبة للملائم.

وقوة منضجة له.

وقوة ممسكة له.

وقوة دافعة للفضلة المستغنى عنها منه.

ورئيس هذه القوى، هي القوة المنضجة، وسائرها خدم لها. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٦٦).



إذا اجتمع في الطعام أربعاً فقد كمل

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا، فَقَدْ كَمُلَ:

إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ فِي أَوَّلِهِ.

وَحُمِدَ اللهُ فِي آخِرِهِ.

وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي.

وَكَانَ مِنْ حِلِّ.

الطب النبوي (ص: ١٧٣).



أربع آفات للشرب قائماً

قال رحمه الله: وَلِلشُّرْبِ قَائِمًا آفَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ بِهِ الرَّيُّ التَّامُّ.

وَلَا يَسْتَقِرُّ فِي الْمَعِدَةِ حَتَّى يَقْسِمَهُ الْكِبْدُ عَلَى الْأَعْضَاءِ.

وَيَنْزِلُ بِسُرْعَةٍ وَحِدَةٍ إِلَى الْمَعِدَةِ فَيُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُبَرِّدَ حَرَارَتَهَا.

وَيُشَوِّشُهَا، وَيُسْرِعَ النُّفُوزَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَدَنِ بِغَيْرِ تَدْرِيجٍ.

وَكُلُّ هَذَا يَضُرُّ بِالشَّارِبِ، وَأَمَّا إِذَا فَعَلَهُ نَادِرًا أَوْ لِحَاجَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ، وَلَا يُعْتَرِضُ بِالْعَوَائِدِ عَلَى هَذَا، فَإِنَّ الْعَوَائِدَ طَبَائِعُ ثَوَانٍ، وَلَهَا أَحْكَامٌ أُخْرَى، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْخَارِجِ عَنِ الْقِيَاسِ

عِنْدَ الْفُقَهَاءِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٢١٠).



أسباب الفطر أربعة

قال رحمه الله: أسباب الفطر أربعة: **السفر، والمرض، والحيض، والخوف** على هلاك من يخشى عليه بصوم؛ كالمرضع، والحامل، إذا خافتا على ولديهما، ومثله مسألة الغريق.

وأجاز شيخنا ابن تيمية **رحمه الله:** الفطر للتقوي على الجهاد وفعله، وأفتى به لما نازل العدو دمشق في رمضان، فأنكر عليه بعض المتفقيين وقال: ليس سفرا طويلا، فقال الشيخ: هذا فطر للتقوي على جهاد العدو وهو أولى من الفطر للسفر، والمسلمون إذا قاتلوا عدوهم وهم صيام لم يمكنهم النكاية فيهم، وربما أضعفهم الصوم عن القتال؛ فاستباح العدو بيضة الإسلام.

وهل يشك فقيه أن الفطر ههنا أولى من فطر المسافر وقد أمرهم النبي **ﷺ** في غزوة الفتح بالإفطار ليتقوا على عدوهم، فعمل ذلك للقوة على العدو لا للسفر والله أعلم.

قلت: إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما على ولديهما وفطر من يخلص الغريق؛ ففطر المقاتلين أولى بالجواز، ومن جعل هذا من المصالح المرسلة؛ فقد غلط بل هذا أمر من باب قياس الأولى ومن باب دلالة النص وإيمائه. بدائع الفوائد (٤ / ٤٥).



القرع أربعة أنواع

قال رَحِمَهُ اللهُ: والقرع أربعة أنواع:

أحدها: أن يحلق من رأسه مواضع من هاهنا وهاهنا مأخوذ من تقزع السحاب وهو تقطعه

الثاني: أن يحلق وسطه ويترك جوانبه كما يفعل شمامسة النصارى

الثالث: أن يحلق جوانبه ويترك وسطه كما يفعل كثير من الأوباش والسفل

الرابع: أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره وهذا كله من القرع. والله أعلم. تحفة المودود بأحكام

المولود (ص: ١٠٠).



خلق الرأس أربعة أقسام

قال رحمه الله: لَمْ يَكُنْ هَدْيُهُ ﷺ حَلَقَ رَأْسِهِ فِي غَيْرِ نُسْكِ، بَلْ لَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ إِلَّا فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَحَلَقَ الرَّأْسَ أَرْبَعَةً أَقْسَامٍ: **شَرْعِيٌّ، وَشُرْكَيٌّ، وَبِدْعِيٌّ، وَرُخْصَةٌ.**

فَالشَّرْعِيُّ: الْحَلَقُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.
وَالشُّرْكَيُّ: حَلَقُ الرَّأْسِ لِلشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ يَخْلُقُونَ رُءُوسَ الْمُرِيدِينَ لِلشَّيْخِ، وَيَقُولُونَ: أَحَلَقَ رَأْسَكَ لِلشَّيْخِ فُلَانٍ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ السُّجُودِ لَهُ، فَإِنَّ حَلَقَ الرَّأْسِ عِبُودِيَّةٌ مُذَلَّةٌ.
وَأَمَّا الْحَلَقُ الْبِدْعِيُّ فَهُوَ: كَحَلَقِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ وَالْفُقَرَاءِ يَجْعَلُونَهُ شَرْطًا فِي الْفَقْرِ، وَزِيًّا يَتَمَيِّزُونَ بِهِ عَنْ أَهْلِ الشُّعُورِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ.
وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَوَارِجِ أَنَّهُ قَالَ: «سِيمَاهُمْ التَّحْلِيْقُ»^(١).
وَمِنْ حَلَقِ الْبِدْعَةِ الْحَلَقُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ بِمَوْتِ الْقَرِيبِ وَنَحْوِهِ، فَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَيَحْرُمُ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَدْ بَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَالِقَةِ وَالصَّالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ.

«١» رواه البخاري برقم (٧٥٦٢) ومسلم برقم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَأَمَّا حَلْقُ الْحَاجَةِ وَالرُّخْصَةِ فَهُوَ كَالْحَلْقِ لِوَجَعٍ أَوْ قَمَلٍ أَوْ أَذَى فِي رَأْسِهِ مِنْ بُثُورٍ
وَنَحْوِهَا فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ. أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٩١).



مَرْحَمَةُ اللَّهِ وَتَوَفِّيهِ

فهرست

- ٥.....مقدمة الشيخ الفاضل / أبي عبد الله فيصل الحاشدي:.....
- ٦.....مقدمة شيخنا الفاضل / أبي عاصم عبد الله بن محمد الدبعي:.....
- ٧.....المقدمة:.....
- ١٠..... (١) محاسبة النفس قبل الفعل على أربعة مقامات:.....
- ١٢..... (٢) الفروسية أربعة أنواع:.....
- ١٣..... (٣) أركان الرمي أربعة:.....
- ١٤..... (٤) للشجاعة أربع علامات:.....
- ١٥..... (٥) مراتب الجهاد أربعة:.....
- ١٧..... (٦) أركان الكفر أربعة:.....
- ١٩..... (٧) الدراهم أربعة أنواع:.....
- ٢٠..... (٨) أجل الأفكار أربعة:.....
- ٢٣..... (٩) للهداية أربع مراتب:.....
- ٢٥..... (١٠) أربع من علامات المؤمنين:.....
- ٢٦..... (١١) أمهات مطالب السائلين أربعة:.....
- ٢٨..... (١٢) الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام:.....
- ٣٠..... (١٣) الناس في بذل الأسباب على أربعة أقسام:.....
- ٣٢..... (١٤) أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد:.....
- ٣٣..... (١٥) الآلات المأمور بمباشرتها من البدن لها أربعة أحوال:.....
- ٣٥..... (١٦) الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام:.....
- ٣٧..... (١٧) العتب على أربع أمور:.....
- ٣٩..... (١٨) للأنفس أربع دور:.....

- (١٩) للعبد أربع نشأت:..... ٤٠
- (٢٠) خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب:..... ٤١
- (٢١) الناس أربعة أقسام:..... ٤٢
- (٢٢) رباعيات في المرأة:..... ٤٣
- (٢٣) كمال الإيمان في أربعة أمور:..... ٤٤
- (٢٤) داعي الحب من المحب أربعة أشياء:..... ٤٥
- (٢٥) الركعة الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء:..... ٤٧
- (٢٦) مؤذني النبي ﷺ أربعة:..... ٤٨
- (٢٧) أسفار النبي ﷺ على أربعة أقسام:..... ٤٩
- (٢٨) قصد اللفظ وعدمه على مراتب أربع:..... ٥٠
- (٢٩) الطلاق من حيث الحل والحرمة على أربعة أوجه:..... ٥١
- (٣٠) جهات ثبوت النسب أربعة:..... ٥٢
- (٣١) يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء:..... ٥٣
- (٣٢) لا يقوم صلاح العبد إلا بأربعة أمور:..... ٥٤
- (٣٣) تظهر صدق محبة المحب لله تعالى في أربعة مواطن:..... ٥٥
- (٣٤) قيام الحجة مبنية على أربعة أصول:..... ٥٩
- (٣٥) الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أربعة أمور:..... ٦٢
- (٣٦) الأسباب مع مسبباتها على أربعة أنواع:..... ٦٣
- (٣٧) حسن الخلق يقوم على أربعة أركان:..... ٦٥
- (٣٨) ذهاب الإسلام من أربعة:..... ٦٨
- (٣٩) الحجب التي بين القلب وبين الله عز وجل تنشأ من أربعة عناصر:..... ٦٩
- (٤٠) إنكار المنكر على أربع درجات:..... ٧١
- (٤١) القلوب أربعة:..... ٧٢
- (٤٢) لا بد للقلب من أربعة أمور في سيره إلى الله تعالى:..... ٧٣
- (٤٣) صلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بأربعة أمور:..... ٧٥
- (٤٤) الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام:..... ٧٧

- ٧٩..... (٤٥) يجمع التوبة أربعة أشياء:.....
- ٨٠..... (٤٦) البعد من الله على مراتب أربعة:.....
- ٨١..... (٤٧) جمال الله سبحانه وتعالى على أربع مراتب:.....
- ٨٢..... (٤٨) ذل العبودية على أربع مراتب:.....
- ٨٤..... (٤٩) القضاء والقدر على أربع مراتب:.....
- ٨٥..... (٥٠) الناس في الرضا بالقضاء على مراتب أربعة:.....
- ٨٧..... (٥١) الصبر على السراء من أربعة أوجه:.....
- ٨٩..... (٥٢) الصبر على أربعة أضرب:.....
- ٩٠..... (٥٣) الناس في الصبر والبذل على أربع طبقات:.....
- ٩١..... (٥٤) مراتب الوجود أربعة:.....
- ٩٣..... (٥٥) الناس في العلم والعزيمة على أربعة أضرب:.....
- ٩٦..... (٥٦) الناس مع الدنيا على أربعة أقسام:.....
- ٩٧..... (٥٧) الخطرات تدور على أربعة أقسام:.....
- ٩٩..... (٥٨) لا بد لصرف اللفظ عن ظاهره من أربعة أمور:.....
- ١٠٠..... (٥٩) العاقل لا يغفل عن أربع ساعات:.....
- ١٠١..... (٦٠) لا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة:.....
- ١٠٢..... (٦١) الناس في معرفة السبيل على أقسام أربعة:.....
- ١٠٥..... (٦٢) للمخبتين أربع علامات:.....
- ١٠٦..... (٦٣) ذروة الإيمان أربع:.....
- ١٠٧..... (٦٤) الناس في قدرة الله وحكمته على طوائف أربعة:.....
- ١١١..... (٦٥) للعبد أربع مقامات في المصائب التي لا صنع له فيها:.....
- ١١٢..... (٦٦) اختص الله آدم عليه السلام على غيره بأربع أشياء:.....
- ١١٣..... (٦٧) أربع مقامات في إقامة الحجة:.....
- ١١٤..... (٦٨) الدين كله يقوم على أربع قواعد:.....
- ١١٥..... (٦٩) السؤال على أربع مراتب:.....
- ١١٦..... (٧٠) أربع فوائد في زيادة « لا » بين المعطوف والمعطوف عليه:.....

- (٧١) الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد:..... ١١٨
- (٧٢) لا بد للمتكلم في مقام التفاضل من أربعة أمور:..... ١١٩
- (٧٣) للشهادة أربع مراتب:..... ١٢٠
- (٧٤) التصوير والتخليق على أربع مراتب:..... ١٢١
- (٧٥) من عارض الشرع بالعقل فإنه ينتهي أمره إلى أحد أمور أربعة:..... ١٢٢
- (٧٦) الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:..... ١٢٣
- (٧٧) تضمنت سورة الفلق الاستعاذة من أمور أربعة:..... ١٢٤
- (٧٨) أركان التابعين أربعة:..... ١٢٥
- (٧٩) مراتب الكمال أربعة:..... ١٢٦
- (٨٠) أربعة أوجه لاختصاص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة:..... ١٢٨
- (٨١) الناس في العلم مع الحلم على أربعة أقسام:..... ١٣٠
- (٨٢) الأسباب الجالبة للتأويل أربعة:..... ١٣١
- (٨٣) تكرر السؤال أربع من فوائد:..... ١٣٢
- (٨٤) أربع حكم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة:..... ١٣٣
- (٨٥) خلق الإنسان على أربعة أطوار:..... ١٣٤
- (٨٦) أربعة أشياء تهدم البدن:..... ١٣٥
- (٨٧) وأربعة تضرح:..... ١٣٦
- (٨٨) أربعة تقوي الجسم:..... ١٣٧
- (٨٩) أربعة تيبس الوجه:..... ١٣٨
- (٩٠) أربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته:..... ١٣٩
- (٩١) أربعة تجلب البغضاء والمقت:..... ١٤٠
- (٩٢) أربعة تجلب الرزق:..... ١٤١
- (٩٣) أربعة تمنع الرزق:..... ١٤٢
- (٩٤) أربعة تضر بالفهم والذهن:..... ١٤٣
- (٩٥) أربعة تزيد في الفهم:..... ١٤٤
- (٩٦) أربعة أشياء تمرض الجسم:..... ١٤٥

- ٩٧) أربعة تقوي البدن:..... ١٤٧
- ٩٨) أربعة توهن البدن:..... ١٤٨
- ٩٩) أربعة توهن البصر:..... ١٤٩
- ١٠٠) أربعة تقوي البصر:..... ١٥٠
- ١٠١) أربعة تظلم البصر:..... ١٥١
- ١٠٢) أربعة تزيد في الجماع:..... ١٥٢
- ١٠٣) أربعة تزيد في العقل:..... ١٥٣
- ١٠٤) للمرض أربعة أحوال:..... ١٥٤
- ١٠٥) المرض يدور على أربعة أشياء:..... ١٥٥
- ١٠٦) جعل سبحانه في المعدة أربع قوى:..... ١٥٦
- ١٠٧) إذا اجتمع في الطعام أربعاً فقد كمل:..... ١٥٧
- ١٠٨) أربع آفات للشرب قائماً:..... ١٥٨
- ١٠٩) أسباب الفطر أربعة:..... ١٥٩
- ١١٠) القزعة أربعة أنواع:..... ١٦٠
- ١١١) حلق الرأس أربعة أقسام:..... ١٦١
- الفهرس:..... ١٦٣